سلمى حداد

# أحبك ولكنني

شعر



أَغْزِلُ جَناحَيَّ من كَتِفِ الشَّمسِ البُرتُقاليَّة

وأَفْرُشُهُما على نَسيمِ الفَضاءِ عُصفورةً

أُناطِحُ بهما الجَاذبيَّةَ الأَرضيَّة،

لا أُطيقُ المَوتَ في أَقبيةِ الظَّلامِ الفِكريَّة

فحَرِّرني أيُّها النِّسيانُ من بُيُوضِ ذاكرتي

ومن أَيَّام تَتَشابهُ كالمَوتِ ورُخام القُبُورِ،

حَرِّرني من حُفَرِ الخَلاءِ تَتَدَثَّرُ بصُوفِ العَراءِ لتَحيا

ومن دَعْسَاتِ النَّملِ في شُقُوقِ الرُّمَّانةِ القرمزيَّة،

واصعدْ معي هناك إلى خُطُوطِ السَّحابِ البَعيدِ..

أَقْصِني عن الحَنينِ إليه إليها إليهم إليهنّ إلينا إلى لا أَعرفُ،

اقْتَلِعْني من جُذُورِ الخَواءِ ومن فَوضَى العَدَمِيَّة.

ماعادَ الزَّمانُ زَمانيَ أيُّها النِّسيانُ

فخُذني معك نَمْتَطِ قطارَ الفَجرِ بعيداً عن عُصورِ الظَّلاميَّة،

أَفْرِغْني من ظِلِّيَّ العَالقِ بي كقَميصٍ فوق تُوتِ السِّياجِ،

طَهِّرني من شَبَقِ العُنفِ والقَسوةِ وهمجيَّةِ الحُروبِ اللاَّنهائيَّ

عَلِّمني لُغَةً يَعْزِفُ الحَمامُ فيها فِعلاً وفَاعلاً وظَرفَ مَكانٍ

ويَعْشَقُ الصَّباحُ فيها كلَّ الوُرودِ من دُونِ أَداةِ استثنائيَّة.

**(من قصيدة: على شَبَابيكِ الصُّدفةِ الت**

ISBN 978-614-432-231-4




مكتبة
طريق العلم

أحبُّكَ ولكنَّني...

د. سلمى جميل حدّاد

# أحبُّكَ ولكنَّني...

شعـــــر

دار الفارابي

الكتاب: أحبُّكَ ولكنّني...
المؤلف: د. سلمى جميل حدّاد
الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: ٣٠١٤٦١(٠١) - فاكس: ٣٠٧٧٧٥(٠١)
ص.ب: ١١/ ٣١٨١ - الرمز البريدي: ١١٠٧٢١٣٠
www.dar-alfarabi.com
**e-mail:** info@dar-alfarabi.com

**الطبعة الأولى: أيلول ٢٠١٤**
**ISBN:** 978-614-432-231-4

# إهداء

إلى جبال الألب حيث أضعت قلبي في المرة الأولى فرحاً،
وأضعته في المرة الثانية حزناً ولوعة.
إلى جبال الألب حيث ترقد ناتالي دوسيتو حداد ويرقد إلى
جانبها جزء من فؤادي.

# كلّ عامٍ والأُمُّ زَهرةُ البُرتقالِ

كَبُرنا يا أُمي وكَبُرت معنا أَحلامُنا،
كَبُرنا ياأُمي وكَبُرت معنا أَمانينا وكَبُرت معها أَحزانُنا،
وعَلا ضَجيجُ انكساراتِنا على إسمَنْتِ الحقيقةِ يعوي
في ليالي الشِّتاءِ خَيباتنا.

هي دُنيا تأخذنا بعيداً عن ذاتٍ نشتاقها وتشتاقنا،
هي دُنيا تَنزفُ من بَراعمِ الرَّيحانِ ضَحكةَ البَراري
ومن بَطْنِ المَجهولِ عَذاباتِ انتظاراتنا،
وما زلتِ ياأُمي..
ما زلتِ ياأُمي قَطْرَةَ ماءِ الوَرْدِ في عَصيرِ تُفّاحنا،
وقِطعةَ السُّكَّرِ في قَهوةِ صَبَاحاتنا،
ونَكْهَةَ الصَّيفِ في خُدُودِ أعنابنا،

وما زلتُ طِفلةً أَتَسلّلُ إلى حِصَّتي المَخْجُوزةِ فيكِ
كيما أَختبئ في لحظةِ خَوفٍ
من عَتمةِ اللَّيلِ في أَحداقِ أَشرارنا.

يا كَمْ وَجدتكِ..
يا كَمْ وَجدتكِ بين حُروفِ كتاباتي تَتَنَزَّهينْ
تُلَمِّعينَ مَرايا البَلاغةِ فيها بقُفَّازَينِ من يَاسمينْ،
يا كَمْ ضَبَطْتُكِ في ضُلوعِ الشَّمسِ تَتَعَلَّقينْ،
تَسْتَدْرجينَ الدِّفءَ إلى أَقفاصِ الشِّتاءِ وتَسْتَعطفينْ
عُمرَ الشُّعاعِ كيما يَطُولْ،
يا كَمْ رَأيْتكِ تَلْهثينَ وراءَ قُطْنِ السَّحابِ تَسْتَقْطرينْ
من شِفاهِهِ البَيضاءِ مِياهَ أَشجارِنا.

يا أَرضُ! ياأَرضُ ياوَلَّادةَ الخَيرِ ونَعْنَاعِ الرَّبيعْ
أَما تَعبتِ من الوُقوفِ على بابِ النَّهارِ
تَسْتَجْدينَ النُّورَ كيما يُنْضِجُ الأَحمرَ الوَرديَّ

فِي خُدودِ الدُّرَّاقِ وعُيونِ رُمَّاننا؟
يا أَرضْ! ياأَرضُ يا وَلَّادَةَ الأَلوانِ والثَّمَرِ البَديعْ
أَما تَعبتِ من حَمْلٍ ووِلادَةٍ ومَخَاضٍ
وقَسْوَةِ انتظارٍ في زَمنِ اللّاانتظارْ؟
يا أَرضْ! يا أَرضُ يا حَامِلَةَ الجِبالِ في زَمَنِ الصَّقيعْ
ادْفِني في بَطْنكِ العَميقِ أَسْرارَ ذُعْرِنَا وعُيوبَ انزلاقاتنا.

كَبُرنا يا أُمي وكَبُرتِ معنا
وكَبُرَ خَوفُنا من يَومٍ نَلتفتُ فيه خَلفنا
فلا نَراكِ هناكَ تَسْتُرينَ بيديكِ الطَّاهرتينِ عُريَ أَكْتَافنا،
كَبُرنا يا أُمي وأَنتِ تَمْسَحينَ بطُهْرِالدُّعاءِ جِباهنا،
وتَرفَعينَ بيديكِ المُرْتَجفتينِ صُخُورَ هُمومنا،
وتَقْتَلعينَ بأَسنانكِ المُتعَبَةِ أَشواكَ أَحزاننا.

كَبُرنا يا أُمي..
كَبُرنا يا أُمي ونَحتاجُكِ اليومَ أَكثرْ..

أكثرَ بكثيرٍ من سَابِقاتِ أيَّامنا،
فأَعِينينا على حَمْلِ جِبالِنا،
وأَعِينينا على زَمَنٍ تَوَعَّكَتْ فيه أرواحُنا
واتسَخَ فيه غَسِيلُنا وتَكَسَّرتْ أسماؤُنا وتَشابكتْ ألوَانُنا،
ضُمِّينا إلى صَدركِ وهَدْهِدِينا..
هَدْهِدِينا ومَسِّدِينا كيما يَنامُ في جَفنيكِ
الطِّفلُ الرَّضيعُ المَذعُورُ فينا.

مِسكينةٌ ياشَجرةَ البُرتُقالْ!
على سَاقٍ وَاحدةٍ تَقِفينْ
ما عندكِ خيارٌ بجُلُوسٍ لو تَعِبتِ ورَحيلٍ لو ضَجِرتِ،
ما عندكِ خيارٌ حتّى في قَرارِ الانسحابِ أو الانتحارْ!

مِسكينةٌ ياشَجرةَ البُرتُقالْ!
إنْ أنجَبتِ زَهراً استَولَى على أزهاركِ العَطّارْ،
وإنْ أنجَبتِ ثَمَراً عَصَرَ شَارِبُوكِ مُهْجَةَ الثِّمارْ،
وإنْ دهمتكِ سِنُّ اليَأسِ يوماً

بَتَرَ الحَدائقيُّ جُذورَكِ وقَطَّعَ أَغصانَكِ النَّجَّارْ،
واسْتَبْدَلاكِ بشَجرةٍ أَيْنَعَ سَاقاً وأَخْضَرَ بُرعُماً
وكأنَّكِ..
وكأنَّكِ ما جِئتِ وما ذَهبتِ،
وما أَزْهَرتِ وما أَوْرَقْتِ وما أَثْمَرْتِ،
وما فَاحَتْ بأَرِيْجِكِ يَوماً زُيوتُ العَطَّارْ..
مِسكينةٌ،
مِسكينةٌ،
مِسكينةٌ يازَهرةَ البُرتُقالْ!

# سَكَاكينُ القَصَّابِينَ تَحُزُّ رَأسَ السَّنَةِ

ثَمِلَ العامُ من شُرْبِ الدِّماءِ وغَفا على كَتفِ الذَّبِيحة،
في دِنانِ العَتمةِ المُعَتَّقَةِ بكُهوفِ النَّبيذِ سَكَبَ حِكايتهُ القَبِيحة،
وتَجَشَّأَ وَلائمَ اللَّحمِ النَّيّء في عُقولِ السُّكارى
وحَلَّى أضراسهم بكَعْكَةِ العِيدِ
من جَماجِمِ الأيتامِ وأَحداقِ الثَّكالى.

كَمْ خَجْلَى من فَضاءِ اليَاسمينِ
زَكَمْنَا أَنفهُ بزَنَخِ الشِّواءِ في أَفرانِ الجَاهليَّة،
كَمْ خَجْلَى من تاريخٍ
نَوَّرنا جَبينهُ بأَوَّلِ حَرْفٍ من حُروفِ الأَبجديَّة
ثم أَرْدَيْناهُ ظَلاماً في أَقبيةِ الجَهلِ وعَتمةِ الأُميَّة،
كم خَجْلَى من مِشْكاةٍ أَضَأنا بنُورها شُمُوساً وأَقماراً

ثم أَحرقنا بنارها عُقولاً وأَفكاراً
ورجعنا نَهُزُّ اليَدَيْنِ حُفاةً عُراةً إلى قاعِ البَشريَّة.

سامحينا ياشَآم!
أَوْسَعنا وَجهكِ الجميلَ ضَرباً في زَمَنِ العُبوديَّة،
وسَلَخنا عنكِ جِلدكِ وانْقَسمنا عن بَعضكِ
ونَطقنا لُغةً لا تُشبهنا ولا تُشبهُكِ..
شَتَمنا ولَعَنَّا وتَقَاذَفنا الأَلقابَ في الزَّمَنِ الرَّديء
ونَحَرنَا قَواميسَ البَلاغةِ على أَقدامِ المَقابرِ الجَماعيَّة.

يا خَجْلَتي منكِ ومِمَّن سَمعنا،
يا خَجْلَتي منكِ ومِمَّن رَآنا
نَجُزُّ بسَكَاكينِ القَصَّابِينَ رِقابَ الضَّحايا
ونَكنسُ الشَّوارعَ ومَصابيحَ الطُّرقاتِ من مِزَقِ قَتْلانا
ونَسوقُ كقَطيعِ النِّعاجِ السَّبايا،
سامحينا ياشَآم!

تَركتُ أَحلاميَ في سَلَّةِ خُبْزٍ نَاشِفٍ على قَارعةِ المَدينَة،
ورَحلتُ ثَقيلةً أُتأْتِئُ الخُطواتِ في نَفسيَ الحَزينة،
وارتديتُ عُريَ التُّوتِ ريثما أَرْتُقُ أثوابي،
وجَلستُ في بَرْدِ الغِيابِ أُغَنِّي العَتَابا
وأُفَتِّشُ عن رائحتي في قِشْرَةِ لَيْمُونَةٍ
أَبْرُشُها على أَنْفِ الأَملِ الغَائبِ عن الوَعي.
سامحينا ياشَآم!

# على ذِراعِ السَّرابِ غَفَوْتُ

عَرَايَا أَحلامُنا كسِيْقانِ الخَريفِ في فَصلِ الشِّتاءْ،
هو ذا الظَّلامُ يُقَرْمِشُ حَبَّاتِ النُّورِ في الزَّمَنِ الرَّديء
ويَصطادُ نُجومَ السَّماءِ لِيُولِمَ الضَّوءَ لبَنَاتِ آوَى
فيَسْرُجُ الأَحِبَّةُ أَجنحةَ الوَهمِ
في أَزِقَّةِ النَّزواتِ وأَقْبِيَةِ اللّاجَدوى.

متى سنشفى من فَحِيحِ خَيباتِ الأَملِ تحت تِبْنِ المَجهولْ؟
متى ستعافى من احتضارِ النَّهارِ على مَداخلِ اللَّيلِ القَلَويَّة؟
أَنا لستُ أَنا حين أَجلسُ على رَصيفِ القِطارِ بملْءِ تعَاستي،
والرَّصيفُ ليس رَصيفي
حين يأخذني قطارُهُ إلى دَوائرِ اللّاأَدري،
وحقائبُ السَّفرِ ليست حقائبي حين يُوضِّبُها المُرُّ لي.

كم يَسْهُلُ الرَّحيلُ إلى المَجهولِ في الزَّمَنِ الرَّديء،
نَشْنُقُ على شجرةِ الزَّيتونِ أَحلامنا ونرحلْ
عُراةً من حَوْضِ الفُلِّ والنَّعناعِ على السَّطْحِ القديمْ،
من دِفءِ أَنْفَاسِ الوَطَنِ في رَائحةِ مَنْقُوشَةِ الزَّعْتَرِ الصَّباحيَّة،
من لَوْنِ المِشْمِشِ في عُيونِ البُرتُقالِ
وهَفِيْفِ النَّسِيمِ في شِفاهِ الكُرُومِ الكَرَزِيَّة،
كُسَاةً بعُواءِ الشَّوقِ في حَلاقِيْمِ الصَّمتِ وصَدَأ الجِراحْ.

قد طالَ الرَّحيلُ وغَرَفَتِ الذِّئابُ من مِزَقِ مَوْتَانا،
أَفْرَغَنا الغُروبُ من طِيْبِ أَنْفَاسِ الصَّباحِ واحْتكَرَ المَدى
فجَفَّ النَّسيمُ في حِنْوِ الوَادي ويَبِسَ السُّكَّرُ في لُعَابِ النَّدى،
إلى متى يَذُوبُ اللَّوْنُ في عُري الرُّطُوبةِ والظَّلامِ
وأَذُوبُ أَنْتَ وتَذُوبُ أَنا؟
إلى متى نَبْصُقُ ضُلوعَنا من وَحْلِ السُّعالِ
ونَحني رُؤوسَنا للضَّبابْ؟

عَبثاً أُفتِّشُ عن زَيتٍ أُسْرِجُ فيه مِصباحيَ القَديمْ،
على ذِراعِ السَّرَابِ غَفَوْتُ مثل كلِّ دَرَاوِيشِ الحَالِمِينْ
فحَلمتُ بلُهاثِ النُّورِ يَدْلِفُ علينا من شُقُوقِ الغَيمةِ السَّوداءْ،
وحَلمتُ بزَادٍ وَفيرٍيُطعمُ أَفْوَاهَ اليَتامى وبُطُونَ الجَائِعِينْ،
وحَلمتُ بأنّي عُصفورةُ الفَجْرِ في بَسَاتِيْنِ اللَّوزِ أَقطفُ زَهْوِي،
وحَلمتُ بأنّكَ نَسْرٌ تُحلِّقُ في الفَضاءْ
تَحْميني من حِجارةِ المَقَالِيْعِ وبَنادقِ الصَّيَّادِينْ
فَعِمْ مَساءً أيُّها الحُلْمُ الثَّمِينْ!

# على شَبَابيكِ الصُّدفةِ التقينا

على شَبَابِيكِ الصُّدفةِ التقيتُ النِّسيانَ
خَاطِرةً في هَذَيانِ النَّسيمِ المُعلَّقِ بأَراجِيحِ الغَمامْ.

ما أَروعكَ أيّها النِّسيانْ
حين تُحلِّقُ حُرّاً فوق رُؤوسِ الرَّياحينْ
عَارياً من قَنَافِذِ الذِّكرى
وعَويلِ القَرنفلِ في ثُقوبِ السَّحابِ الحَزينْ!

ما أَروعكَ أيّها النِّسيانْ
حين تَشْفي سِيقانَ السِّنديانِ
من نُدُوبِ الأَسماءِ المَحفُورةِ بالسَّكَاكينْ
وتُفَرِّغُ المَكانَ من عُشِّ الزَّمانِ الرَّديءِ!

ما أَروعكَ أيّها النِّسيانْ
حين تَتَعافى من شُقُوقِ الجِدارِ القَديمْ
وتُطلقُ عَصافيرَ الشِّعرِ خارجَ أَقْفَاصِ القَوافي الخُرافيَّة!

أَغْزِلُ جَناحَيَّ من كَتِفِ الشَّمسِ البُرتُقاليَّة
وأَفْرُشُهُما على نَسيمِ الفَضاءِ عُصفورةً
أُناطِحُ بهما الجَاذبيَّةَ الأَرضيَّة،
لا أَطيقُ المَوتَ في أَقبيةِ الظَّلامِ الفِكريَّة
فحَرِّرني أيّها النِّسيانُ من بُيُوضِ ذاكرتي
ومن أيَّامٍ تَتَشابهُ كالمَوتِ ورُخامِ القُبُورْ،
حَرِّرني من حُفَرِ الخَلاءِ تَتَدَثَّرُ بصُوفِ العَراءِ لتَحيا
ومن دَعْسَاتِ النَّملِ في شُقُوقِ الرُّمَّانةِ القرمزيَّة،
واصعدْ معي هناك إلى خُطُوطِ السَّحابِ البَعيدْ..
أَقْصِنِي عن الحَنينِ إليه إليها إليهم إليهنّ إلينا إلى لا أَعرفْ،
اقْتَلِعْنِي من جُذُورِ الخَواءِ ومن فَوضَى العَدَمِيَّة.

ما عادَ الزَّمانُ زَماني أيّها النِّسيانْ
فخُذني معك نَمْتَطِ قطارَ الفَجرِ بعيداً عن عُصورِ الظَّلامِيَّة،
أَفْرِغْنِي من ظِلِّيَ العَالقِ بي كقَميصٍ فوق تُوْتِ السِّياجْ،
طَهِّرني من شَبَقِ العُنفِ والقَسوةِ وهمجيَّةِ الحُروبِ اللّانهائيَّة،
عَلِّمني لُغَةً يَعْزِفُ الحَمامُ فيها فِعلاً وفَاعلاً وظَرفَ مَكانْ
ويَعْشَقُ الصَّباحُ فيها كلَّ الوُرودِ من دُونِ أَداةٍ استثنائيَّة.

ما عُدتُ أَقْوَى على الحَنينِ يُقَطِّعُ أَوتاري كلَّما تَذَكَّرتُ اسمي،
سأَخْتَبئ هناك خلف رائحةِ السَّحابِ
حين تُقْفَلُ في وَجهي المَدينة
وأَتركُ في خِزانةِ جَدَّتي طَرْحَةَ عُرْسي
ومَهْرِيَ المُؤَجَّلَ وشَبْكَتي الحَزينة
ريثما أَكْسُرُ مِرآتيَ أو يُحالِفُني النِّسيانْ.

# في زَحْمَةِ المَوتِ، لستُ أَدري من أَكُونُ!

انْفَرَطَتْ سُبْحَةُ العُمرِ بين شَهيقٍ وزَفيرْ..
لَعلِّي كُنتُ شَجرةَ زَيتونٍ تَبكي عِصيَّ الحَصادِ
حين يَلُوحُ صَوتُ الحَاصِدِيْنَ من الأُفقِ البعيدِ
حَشْرَجَةً تَنتظرُ زَيتاً في المَوسمِ الجديدْ.

أَشُمُّ وَحْشَةَ الخَريفِ في الوَادي السَّحيقْ،
أَسْتَدعي ظِلِّيَ من فَراغِ السُّمَّاقِ في غَاباتِ المَهْجُورْ
عند مُنْحَدَرِ الآسِ في وَجْهِ القَمرِ المَكْسُورْ
لأَرميَ عليه يَمِيْنَ الطَّلاقِ بائناً لا عَوْدَةَ فيهِ
وأَستَمتعَ بأَغلالِ حُرِّيتي.

كلَّما رَكضتِ السَّماءُ خلف الغُيومْ
اسْتَمْطَرْتُ حَاضري لأَغسلَ عن عَينيهِ ما رَأى
من طُقُوسِ البَاعةِ الجَوَّالينَ
يَبيعونَ قَشّاً على كَتفِ الشَّعيرْ
ويَخبزونَ الحَصَى لبُطُونِ الجَائعينْ
على إيقاعِ أَنَّاتِ الثَّكالى وآهاتِ المَحرومينْ.

لا شيء في صَدريَ يُوحي بالحَياةِ ولا المَماتْ،
أَضعتُ مِنديليَ الصَّغيرَ في أزقَّةِ اللاّأعرفْ
حين كنتُ أَدْبُكُ دَبْكَةَ المَوتِ على دَلْعُونا الحَياة،
فهَلّا مَسَحْتَ بمِنديلكَ دَمْعَتي قبل أن تَفِيضَ عن جَرَّةِ الفَخَّارْ؟
وهَلّا قَرأتَ كَفِّيَ لتَعرفَ في زَحمةِ المَوتِ من أَكونْ؟

أَنظرُ في المِرآةِ فتَسْرِقُ وَجهي لأَعُودَ بوَجهٍ لا أَعرفهُ،
أَنْظِمُ قَصيدةً فتكسرُعِظامَ قافِيَتي لأَنْطِقَ لُغَةً لا أَعرفُها،
أُدَوِّنُ في السِّجلّاتِ اسمي ليُنَادِيَني الظَّلامُ باسْمٍ لا أَعرفهُ،

فِي زَحمةِ المَوتِ لستُ أَدري من أَكُونْ،
حَلِّلُوا حَمْضِيَ النَّوَوِيَّ حتّى أَعرفَ من أَكونْ
واتركوني على أَنْقَاضِ التَّاريخِ أَبكي حين أَعرفُ من أنا
وأَبكي حين لا أَعرفُ من أَكُونْ.

أَحِنُّ إلى المَساءِ يَضْرِبُ مَوعداً مع الحُلمِ الدَّفِيء،
أَسْتَأْجِرُ الخَيالَ كيما يَحملُ عن كَاهلي خُرافَةَ الحَقيقة،
وأَرقصُ طَويلاً طَويلاً كيما يَخْضَرُّ السَّرابُ في عُيُونِ المَدى،
لا أُريدُ أن يُنَادِيَنِي أَحدٌ باسْمِي..
أنا الغِيابُ ريثما يَعودُ الزَّمنُ الجَميلُ من إِجازتِهِ الطَّويلة،
وأنا الرَّحيلُ ريثما يَصْحُو الطَّريقُ من غَيبوبَةِ السَّبِيلْ.

# هذا الألمُ أكبرُ منكَ ومني

رُشَّني بأَحلامكَ كيما نَصْحُوْ من إسمنتِ الحقيقةِ
في ساعةِ انعِتاقٍ من عُبوديَّةِ اللّاجَدوى
واتركني ههناك أَعصرْ أَلوانَ شَفَقِ الغُروبِ نَبيذاً
يُسْكِرُ اللَّيلَ في أَراجِيحِ النَّسيمِ العَنِيدِ
الهاربِ من جَحيمِ شِفاهِ الشَّمسِ المُفَخَّخَةِ بالزِّيْفِ
نحو ضُلُوعِ السُّفُوحِ السَّرمديَّة.

اتركني ههناك أَنْزَعْ بالحُبِّ القَديمِ أَلغامَ حُزني،
وأَنطقْ كلاماً يُشبهُ لُغَتي،
وأَحرقْ حَطباً يُشبهُ شَجَري،
لأَسْلُقَ قَمحاً يُشبهُ رَغيفي،
أَغمسهُ بزيتٍ يُشبهُ جَدَّتي،

وأتَعشّى..
أتَعشّى قبل أن أخلُدَ إلى ذراعيكَ الدّافئتينِ
لأُشبهَ نَفْسَكَ وتُشبِهَ نَفسي.

اتركني ههناك..
أسْتَضِفُ النُّورَ القادمَ من دَفْقِ الصَّباحِ في زَهرةِ النَّارَنجِ،
وأنْقَعْ بماءِ الوَرْدِ وَجهكَ ووَجهي،
وأُطلقْ سَراحَ الهَواءِ الحَبِيْسِ في رِئةِ المَدى،
وأتَمَشَّ في دَاخِلنا الحَزينِ إلى ساحاتِ البُرتُقالِ البَعيدْ
لأرَاكَ فيها تَقْطِفُ الدِّفْلَى من أَصابعِ الشَّجَرِ المَنْسِيَّة
وتَزرعها قُطْنَاً في ثُقوبِ السَّحابِ الجَرِيحْ
ثم تُحَلِّقُ في السَّماءِ تَغْسِلُ بدُموعكَ عُيونَ النُّجومِ
من عُريِ الزَّمنِ الرَّديء.

اتْرُكِ النَّايَ هناكَ تحت شَجرةِ الكَسْتَنَاءِ يُغَنِّي
كيما يُضيءُ الحَنينُ لَيْلَ العَصافيرِالمُهاجِرة،

ودَعني أَهْزُزْ بيُسرايَ عِرْزَالَكَ كيما تَنامْ
وأُوَزِّعْ بيُمنايَ أَحلاميَ على كلِّ البَائسينْ
ثم أَطْفُ على سَطْحِ الغِيابِ جُرْحا.

أَرَاكَ ولا تَراني..
خَجْلَى من حاضري المُدَمَّى ومن عُيونِ الجَائعينْ،
خَجْلَى منكَ ومن تَجاعِيْدِ النَّعْنَاعِ في أَحواضِ وطني الحَزينْ،
خَجْلى أن أَسألكَ إن كنتَ أيضاً تَخجلُ مني
ومن لُهاثِ الوَجَعِ في أَفئدةِ المَحرومينْ.

تَراني ولا أَراكَ..
هذا الأَلَمُ أَكبرُ منكَ ومني..
إنْ لم تَكن أنتَ أنا ولم أَكن أنا أنتَ
فمن تُرانا نكونُ في مَنْظُومَةِ النَّحْنُ التَّكَامُلِيَّة؟
هل أنا ما زلتُ أنا شَجرةَ لَوْزٍ بَيضاءَ كفُستانِ العَروسْ؟
وهل أنتَ ما زلتَ أنتَ عَنْدَلِيباً تَحومُ حوليَ في الحُقولْ؟
وهل نحنُ ما زلنا أنا وأنتَ سُنبلةَ قَمحٍ

تُطَرِّزُ ثَوبَها الذَّهبيَّ فوق شِفاهِ البَراري
لتُولَدَ من كلِّ شَفَةٍ ضَحكةٌ على وُجوهِ الجَائعينْ؟
اشتقتُ إليكَ..
اشتقتُ إليكَ ولن أُكابرْ
فهل أنتَ مثلي مُشتاقٌ لكنّكَ تُكابرْ؟
هل رَحلَ المكانُ منّا حين ما عُدتُ أنا أنتَ
أَمْ رَحلنا من المكانِ حين ما عُدتَ أنتَ أنا؟

ياليتنا نَعودُ مثلما كُنّا، ياليتْ
كُوخاً صغيراً دَافِئاً بحَساءِ العَدَسِ عند العَشاءْ،
لاتُطِلْ عليَّ الغِيابَ إنّي تَهرَّأْتُ من الغِيابْ،
سأتركُ شُبَّاكيَ مَفتوحاً لتعودَ إليَّ هذا المَساءْ،
وسأَجْمَعُ شَعريَ ضَفيرةً لتنامَ هانِئَةً على كتفيكَ
حين يُدَلِّلُكَ زَيتُ الياسمينِ وَجهَ الوَطنِ الجَميلْ.

وسأنتظرْ..
رغم كلِّ الحُزنِ سأنتظرْ..

سأنتظرُ أن تقولَ «أُحِبُّكِ»
حتى أُزَنِّرَ بزَهرةِ اللَّيمونِ خَصْرَ المَدى
وبالنَّعْنَاعِ البَرِّيِّ أَنْفَاسَ الرِّياحِ ولُهاثَ الصَّدى.
سأنتظرْ..
رغم كلِّ الخَوَاءِ سأنتظرْ..
سأنتظرُ أن تقولَ «أُحِبُّكِ»
حتى أَخْتَزِلَ حُقولَ البَنفسجِ في قارورةِ عِطْرٍ
تَدْلِفُ بَلاغَةً من عُيونِ القَصيدةِ وتَحيا..
تَحيا لأنَّ اللُّغَةَ لا تَموتْ،
ولأنَّ البَنفسجَ لا يَموتْ
حين تَفْتَحُ الأَبَدِيَّةُ ذِراعَيْها لتَحتضنَ الوَطَنْ.

# عُصَيَّاتُ الحَنين

تَدْلِفُ رائحةُ التَّبغِ من شُقوقِ الجِدارِ الحَزينْ
فأعلمُ أنكَ خلفهُ تُمارسُ الأَنينْ
في أَنفاسِ قَهوتنا العَتيقة،
وأعلمُ أنّني أمامهُ مُصابةٌ بعُصَيَّاتِ سَرْمَدِيَّةِ الحَنينْ.

ماذا سأفعلُ بحُبٍّ يَنْدَسُّ في حَقيبةِ سَفَري
كلّما حاولتُ الرَّحيلَ مع الرِّياحِ إلى ما وراءِ الحَقيقة؟
ماذا سأفعلُ بأَمْسٍ أُهِيلُ عليه التُّرابَ ليَقْضيَ اختناقا
فيخرجُ من شُقُوقِ الرُّخامِ زَفِيراً يَتَعلَّقُ بحِبالِ شَهيقي
ويَنصِبُ في بَاديةِ أَفكارِيَ خَيمتهُ الأَبديَّة
لتَزدادَ وُجُوداً وأَزدادَ بَريقا؟

شِبْهُ أزليَّةٍ تلك السَّحابةُ تَرَكْتُ عليها دَعْساتِ غُروبي
ريثما أَرتدي عَينيكَ القَادمتينِ من مَرجانِ البِحارِ،
أَلْتَمِعُ بهما نَجمةً وحيدةً
تَبكي الوَجعَ على كَتِفِ السَّماءِ القِرمزيَّةِ
ثم تَهوي كالنَّسرِ الجَريحِ على شَجرةِ خَرُّوبٍ
فتَضيقُ ضَحكاتُ المَدى وتَتَّسعُ أَشْدَاقُ الفَراغْ.

ثَمَّةَ حَرْفٌ منكَ في كلِّ مُفْرَدةٍ أَنطقُ بها
فمتى تحتفلُ لُغَتي بعِيدِ استقلالها عنكَ،
ومتى يَتُوبُ الصَّباحُ عن تَعَاطي رَائحةِ قَهْوَتكَ،
ومتى يَتَحَرَّرُ الجُنونُ من رِيْشِ الحَالمينَ
العَابِرينَ جُسُورَ العَتمةِ من ثَقْبِ الإبْرَةِ إلى مَملكةِ النُّورْ؟
ومتى؟ متى تُطلقُ سَراحَ زِنزانتي الحَبِيسةِ
وقُضبانِها المُتْعَبَةِ من الوُقُوفِ على قَشِّ الأُفُقِ البَعيدِ
بين شُرفاتِ الحُرِّيَّةِ وشَبَابِيكِ السَّحابْ؟

مَرَّ الزَّمانُ حَافياً ههنا من تَجاعيدِ عَينيكَ الكَئيبة
حَاملاً معه زُمُرُّدَ الزَّيتونةِ النَّائيةِ ومَصابيحَ الرُّكُودِ
وأَسْرارَ الاحْتِضارْ تحت صَفصافةِ الانْتِظارْ،
مَرَّ المَكانُ كَثِيفاً ههنا فتَدَلَّى القَمَرُ من سَقْفِ الضَّبابِ
واغْرَوْرَقَ الظِّلُّ برُفاتِ النُّجُومِ على سَطْحِ القِرميدِ
يَهُزُّ أَغصانَ الغُيومِ ليَسْمَعَ حَفيفَ الصَّدى
يَخْدِشُ وَجْهَ الهَواءْ.

لا أريدُ أن أَعودَ إلى ذِكراكَ نَاقِصةَ اشْتِياقٍ
بعد أنْ وَزَّعتُ أَحلاميَ على كلِّ المَقْهُورينَ
واتَّكَأْتُ على خَصْرِ الفَراغِ أُصَرِّفُ الأَفْعَالَ في لُغَةٍ لا أعرفها،
وأَبيعُ الكَعْكَ لأَطفالٍ لا أعرفهم
خَرجوا من نُعاسِ الهَباءِ في أَضْلُعِ العَدَميَّةِ
ونَصَبُوا بالخُبْزِ اليابِسِ سُلَّماً نحو السَّحابِ وما صَعِدُوهُ

لأنَّ الشِّتَاءَ بَلَّلَ بالدَّمعِ خُبْزَهُم فأَكلوهُ وناموا جِيَاعاً
بعد أنْ وَسَّدْتهم أَحلامي.

لا أُريدُ أن أَعُودَ إلى ذِكراكَ من تَجاعيدِ البُرتُقالِ
تُشَيِّعُ وَرْدَةَ الرُّمَّانِ من خُدودِ القَمَرِ الحَزينْ.

# أَناملُ الأَبجديَّة

ما عادَ الكلامُ يُشْبِهُ لُغَتي حين أَمسى مُكْتَظّاً
باصْطِكَاكِ المُفرداتِ فوق أَوراقِ الخَريفِ الأَبديَّة...
لاأنتَ أنا ولا أنا غَيْرُكَ في أُحْجِيَةِ الأَصْفَرِ الخَافِتِ
من تَلْوِيْحَةِ الوداعِ لِهَمْسَةِ اللَّيلِ المُنَدَّى
بنُعاسِ الرَّيْحَانِ فوق ذِراعِ المَعاني المُخْمَليَّة.

هناكَ في حَبَّةِ الجَوْزِ اليابسةِ أَتَكَوَّرُ كالجَنِيْنِ
لأَستمتعَ بعُزلتي وأُقَصْقِصَ ما يَفيضُ عن رُوحيَ من الضَّجيجِ
وأَتَدَحْرَجَ بين أَحضانِ سِنْجَابٍ رَماديّ
إلى خارطةِ الصَّيفِ الجَبليَّة.

أَبْتكِرُ صُراخاً يُشرقُ بالفَجْرِ فوق وَجعِ الكُرومِ
حين تَأخذُ الشَّمسُ المُرْهَقةُ إجازتها السَّنَويَّة،
وأُحَلِّقُ في السَّحابِ البَعيدِ كيما أَجِدُ نَفْسيَ التَّائهةَ
مُضَرَّجَةً بحَبَّةِ سِمْسِمٍ فوق مَنْقُوشَةِ زَعْتَرٍ
مُهَاجِرةً إلى كَعْكَةِ العَدَميَّة.

كَرْمَى لعينيكَ أُفكِّكُ حُروفَ الأُمِّيَّةِ فوق صَيْفِ الزَّيْزَفُونْ
فتطيرُ بي عيناكَ غُموضاً إلى آسِ المَقابرِ ورُطوبةِ الجاهليَّة،
متى ستسمحُ للنُّوْرِ أن يَصعدَ إليكَ من شُرفاتِ جَوْزَةِ الطِّيْبِ
وللقَمَرِ أن يَطلعَ من خُدودِ المِشْمِشِ الوَرديِّ
وأَناملِ الأَبجديَّة؟

طَرِيقُ البُرتُقالِ إلى الحَنينِ تَصْرَعُهُ المَسافاتُ
فينبتُ جُرحاً على مَرافِئِ الانتظارِ الوَهميَّة،
كُفَّ عن الاعتذَارِ إنّي هنا عابرةٌ أُجَدِّفُ فوق السَّبيلِ
ريثما تَتَّسِعُ أَحضانُ المُتَوَسطِ لبَواخرِ أَحلاميَ الخُرافيَّة.

نَثَرْتُ الهُنَيْهَةَ فَرْحَةًعلى وِشاحِ الغُروبْ
وانتظرتُ في لُؤْلُؤَةِ داخلي المَجازِيَّة
فعَسْعَسَ اللَّيلُ طَويلاً وتَمَطَّى بحِبْرِهِ
وطَالَ الرَّحيلُ في عُيونِ المَساءِ الهَمجيَّة.

# أَحواضُ الحَبَقِ بِبَرِيدِ الشِّتاءِ

لا تُفَخِّخْ بالدُّلْبِ طَريقَ ذَاتيَ الجَبَليَّة
وتَفرضْ عليَّ حَظْرَ التجوال من عُيونِ الصَّباحِ
حتّى جُفونِ المَسَاءِ تحت طَائلةِ المَسؤوليَّة!

لاتُفَخِّخْ بأَصابعِ قَصَبِ السُّكَّرِ نَبْعَةَ ضَيْعَتي
وتَدفعني إلى حِضْنِ البَحرِ أَرْتَشِفُ أَمْوَاجَهُ الصَّخْرِيَّة،
وأَنْقَعُ بمِلْحِهِ جَواربَ ليلي ثم أَتَمَدَّدُ بين ذِراعيهِ سَرِيراً خُرافيّاً
لتَنْسِفَ بحزامِكَ على قارعةِ النَّومِ البَعيدِ
سَلَّةَ أَحلاميَ الوَرديَّة!

قد أَعلنتُ العِصيانَ وكانَ ما كانْ..
وأَطلقتُ عَصافيريَ تَنْقُرُ جِيْدَ الغُيومِ وأَشْداقَ النُّجومِ
وتَفْرُطُ رُمَّانةَ القَصيدةِ فوق خُدودِ الرِّيحِ وشِفاهِ النُّعْمَانِ

وتُدَغْدِغُ مَفاصلَ الفَجْرِ ومُروجَ الشَّمسِ
بأَنامِلِ وَرْدَتِها الجُورِيَّة.

سألتكَ حين اسْتَدْرَجْتُكَ شَبَحاً
من هَشاشَةِ العِظامِ في قَلْبِ الغِيابْ:
هل كانتِ الحَياةُ أَكْثَرَ جُمُوحاً حين مَشَيْنَا فوق السَّحابْ
وقَطَعنا ضِفافَ النَّهْرِ على جِسْرِ المَجازاتِ
إلى هَوامِشِ المَنْفَى خلف شَجرةِ الخَرُّوبِ الصَّيفيَّة؟
فأَجَبْتَني حين اسْتَدْرَجْتَنِي قِطَّةً بَيْضاءَ من عُيونِ النُّعاسْ:
هل كان المَوتُ أَشَدَّ حُضُوراً
حين احْتَكَرَ الرَّحيلُ مُفْرداتِ الحَياةِ
واسْتَبَاحَ عند اخْتِنَاقِ الهَواءِ خُصُوصِيَّتَها اللُّغَوِيَّة؟

تَسَرَّبَ الضَّوءُ من جُرحِ اللَّازَوَرْدِ في صَدْرِ المَدى
فانْفَجَرَ الخَيالُ في وَجْهِ المَجازِ قُنْبُلَةً عُنْقُودِيَّة،
وسارتِ الأَحلامُ في نَومِها وَحيدةً في دَهالِيْزِ الغَرِيْبِ
ونَتَأَتْ عُشْباً أَخْضَرَ من شُقُوقِ اللَّاوَعيِ الانتحاريَّة.

بماذا أُناديكَ حين أَراكَ تُثَرْثِرُ اليَقَظَةَ في نُعاسِ الحالِمينْ
وتَعْصِرُ الغَيمةَ صَحْواً على حُروفِ النَّومِ الأَبجديَّة؟
بماذا أُناديكَ حين يأتي الشِّتاءُ مُدَجَّجاً بالحِرْمانْ
ليُؤْنِسَ وَحْشَةَ الخَيْبَةِ في شِفاهِ الأَعنابِ المَنْسِيَّة؟
بماذا أُناديني حين يَشْغُرُ مَقْعَدٌ في نُجومِ السَّماءْ
فأَصعدُ إلى غَمَّازَتَيْهِ نُوْراً
وأَهْبِطُ عَتمةً إلى أَحضانِ قَصِيْدَتي العَبَثِيَّة؟

ضَيْفَةٌ على الخَاطِرةِ أَمشي الهُوَيْنَى سَحابةً
وأَبْتكِرُ اسمي وهُوِيَّتي من خُيوطِ الوَهْمِ العَنْكَبُوتِيَّة،
أُذْرِفُ الغَمامَ على حَدائقِ النَّرْجِسِ المُعَلَّقَةِ بأَقْرَاطِ الشَّمسِ
فيَذْرِفُنِي الغَمامُ نَمِراً جَرِيحاً
على تَأْويلاتِ رُبَّمَا وأَخَوَاتِهَا التَّشْكِيْكِيَّة.

فائضٌ ذاك الغُموضُ عن حاجتي للضَّبابِ
في تَرسانةِ اللَّيلِ المُهَاجِرِ من أَحْدَاقِ اللَّمَاذاتِ

في شِعابِ الوِدْيانِ المَخْفِيَّة،
فَائِضٌ ذاك الغُموضُ عن أُحْجِياتِ المَجْهُولِ
المَنْقُوعِ بِبُذُورِ المِشْمِشِ الطَّاعِنَةِ بالمُرِّ
فوق جِراحِ الغُروبِ البُرتُقاليَّة.

ما اكْتَمَلَتْ فَرْحةُ الصَّيفِ بشَبَابِيْكِ الحَبَقِ
القادمِ من نَزْفِ الزُّمُرُّدِ بِأَفْكَارِ الزَّمَنِ الجَميلِ
حتى وَصَلَتْهُ ببَرِيْدِ الشِّتاءِ رسالةٌ مُفَخَّخَةٌ بقُنْبُلَةٍ جَليْديَّة.

# اغتيالُ الشِّتاءِ بأُوركيدَةِ الاستواءِ

يَسْكُبُ البَحرُ مَوجَهُ على مَوعدنا المَحفُورْ
فتتَبَخَّرُ جُذورُ المِلْحِ من ضُلوعِ الصَّخرةِ الخَرقاءْ،
كيف أَشْعَلَ الانتظارُ نِيرانَهُ في مُحيطِ السُّكُونْ
وأَحْرَقَ المَاءُ غُبارَ طَلْعٍ على شَفَةِ الصَّحراءْ؟

تَمَهَّلْ! لا طاقةَ لي على حَمْلِ كلِّ هذا النِّسيانِ
المُطَعَّمِ بجِراحِ المَوْجِ على رَقائقِ فِضَّتِهِ المَنْسِيَّة،
لاطاقةَ لي على حَمْلِ كلِّ هذا الغُبارِالمُنَدَّى بالوَجَعِ
وكلِّ هذا الهَواءِ المُهاجِرِ إلى اللاوُجْهَةِ على قَواربِ العَدَمِيَّة.

قد حانَ مَوعدُ الانعتاقِ من لَوْنِ الرَّحيلِ في زَادِ المُسَافِرْ،
لاتُكَابِرْ! عَلِّقْ فَانُوسَ القَمَرِعلى أُرجُوحةِ الشُّروقِ القِرْمِزِيَّة
واسْتَرِحْ من أَنِيْنِ العَتمةِ في حَلْقِ الظَّلامْ

وغَرِّدْ من حَنْجَرَةِ النُّورِ على سَلالمِ رُوحيَ المُوسيقيَّة،
لن يَجِدَ الغَمامُ إلى ضَحكةِ البُرتُقالةِ طَريقاً
إنّها هنا شَوْكَةٌ في لَهاةِ العَبَثِيَّة.

مَلِكَ الرِّياحِ
اعْصِفْ رَيحانةَ الرُّكُودِ وأَحْرَاشَ الصَّنَوبرِ الفَرَاغِيَّة،
أَيْقِظْ بصَفِيْرِكَ غَيبوبةَ الإحساسِ من نُزهةِ المَوتِ
وأَلْقِ على بَساتينِ الكَرَزِ التَّحيَّة،
شِتاءٌ طَويلٌ ما اسْتَشْمَسَتْهُ أزهارُ لَوْزٍ عند نَزْفِ الخَيالْ،
وما أَسْكَرَتْهُ قُبلَةُ أَعنابٍ على شِفاهِ تُوْتَةٍ بَرِّيَّة.

هو ذا مُفترقُ الطَّريقِ يَتَلألأ بعُسْرِ المَخاضِ
فوق شَرائحِ الصَّمْتِ المَجازيَّة،
فاصْعَدْ إلى شُرفاتِ المِشْمِشِ الوَرديِّ وهناك انتظرني
ريثما أَرْتَدي على عَجَلٍ غَمَّازَتِي،
وأَتركُ شَامَتِي على خَدٍّ سَجَّانِي،
وأَغتالُ الشِّتاءَ بأُوركِيدَةِ أَحلامِيَ الاستوائيَّة.

# لَعْنَةُ المِلْحِ في بُحُورِ العَدَمِيَّة

لَعْنَةُ المِلْحِ في بَحْرِ عَينيكَ تَعْتَنِقُ الرَّحيلَ
إلى جُزُرِ الزَّنْجَبيلِ ومُحيطاتِهِ الخُرافِيَّة،
تَخْتَطِفُني تَجاعِيْدُ وَجْهِ الماءِ من عَبَثِيَّةِ الهَواءِ
وتُلْقِي بي كَنَكْهَةِ الضَّوْءِ الشَّفِيْفِ
في ظُلمةِ عَينيكَ وأَحَابِيْلِ العَدَمِيَّة.

سأُعَلِّقُ حُبِّي هناك على أَعمدةِ النُّوْرِ المَطْحُونْ
وأَتَسَلَّقُ دَرجاتِ اللّاوَعيِ خَفِيْفَةً إلى قُطْنِ السَّحابْ
وأَعْتَنِقُ مِثلكَ الرَّحيلَ إلى فِضَّةِ الحَوْرِ الرَّماديَّة.

هذي الغَيْمَةُ السَّوداءُ ليست لي فاطْرُدني منها
لاأَحْمِلُ منها هُوِيَّةً ولا أَملكُ فيها أَوراقَ إِقامةٍ رَسميَّة،
هذا الفَصْلُ ليس لي فاعْصِفْهُ عنّي

لأُعِيْدَ إلى خَارطةِ السَّنَةِ جِيْنَاتِ فُصولِها التَّقليديَّة،
هذي اللَّوْزَةُ كُلُّها لي
وهذي الزَّيتونةُ والبُرتُقالةُ والأُقْحُوَانَةُ والدِّفْلَى كُلُّها كُلُّها لي
فعَانِقني كيما أُوْلَدُ من رَحِمِها صَفْصَافةً دَافِئةً
على زُنُودِ الأَبَدِيَّة.

سيحملني الطَّريقُ حَتْمَاً إلى رَصيفِ الزَّيْزَفُونْ
فرَيْثَما...
دَعني أُمَارِسْ هِوايةَ الوَهْمِ في بَسَاتِيْنِ الضَّوْءِ
وأَبْنِ قِرميدَ البُيوتِ من شِفاهِ الرُّمَّانةِ الوَرديَّة،
فَرَحِي انتظارٌ على شَبَابِيْكِ القَصيدةِ النَّاتِئةِ من عُرُوقِ السِّنْديانْ
ومن رَذاذِ المَوْجِ في عُيونِ نَسمةٍ صَيفيَّة،
دَعْكَ من حُبَيْبَاتِ المِلْحِ في عَيْنِ البِحارْ
وتعالَ معي نَقْطِفْ قَصَبَ السُّكَّرِ من عُيونِ النَّبْعِ السَّماويَّة.

نَصَبْتُ خَيْمَتي لك عند رَيحانةِ المَساءْ
وأَوقَدتُ فيها شَمْعَةً من لَهِيْبِ اشتياقي إليكَ
ومن جَمْرَةِ البَلاغةِ المُشَجَّرةِ بنَجمةِ الحَالِمينَ العَسليَّة
وانتظرتُ في نُوْرِها حتّى شَاخَ النُّورُ وتَقَاعدَ الانتظارْ،
تأَخَّرتَ كثيراً..
تأَخَّرتَ كثيراً، لكنَّكَ أَتيتَ تُراوِدُني عن صَمْتِيَ
وعن وَشْمِ الصَّدى فوق جُزُرِ الزَّنْجَبِيْلِ المَنْفِيَّة.

# مَملكةُ المَوْتِ السَّريريِّ

بيني وبينكَ فَرَاشَةٌ مُعَلَّقَةٌ بالغَمامِ فوق أُرجُوحةِ الزَّعْفَرانْ،
في فيءِ دَالِيَةٍ أَسبحُ بأَحلامِيَ نَدِيَّةً إليكَ
فيُوصِدُ نَاطُورُ الكَرْمِ بَوَّابةَ الأَحلامْ،
الحُلْمُ دُبٌّ ثَقِيلٌ يَلتهِمُ العِنَبَ ويَكسرُ أَضلاعَ الكُرومْ،
مَنْ أَحضرَ الدُّبَّ إلى كَرْمِهِ وحَطَّمَ في يَدَيْهِ الأَصفادْ؟

ياعِزَّةَ التَّحْلِيقْ!
دَعني أيّها الحُلْمُ النَّبيلُ أَطِرْ
على صَدْرِ الشِّهابِ المُجَنَّحِ بالجُنونْ،
أَغتسلُ بالغَيمةِ الرَّاعِفَةِ تَمَرُّداً على عُبُوديَّةِ الرُّكُودْ
وأَنْقَعُ بوَرَقِ اللَّيمونِ أَفكاريَ ما فوق البَنَفْسَجِيَّة
ثمَّ أُجَفِّفُها بالشَّمسِ خَفيفةً وأُطلِقُها تَطيرُ فوق قِرميدِ الغُيومْ.

رَائحةُ القَرَنْفُلِ تَبزغُ من حِنَّاءِ اللَّيلِ الطَّويلْ
كصَوْتِ النَّايِ في لحظةِ انْعِتَاقِ الصَّدى،
إلى أيِّ مَدَى!
إلى أيِّ مَدى يَسْكَرُ اللَّيلُ العَنِيدْ
من جُمُوحِ أحلامٍ تَصُبُّ الخَمْرَ في دِنانِ الوُعُودْ؟

الوُعُودُ بَناتُ الانتظارِ يَسْتَقْطِرْنَ من أَعنابِهِ صَدَأَ الرُّكُودْ..
ياعِزَّةَ التَّحْلِيْقِ حين يُنادي النُّورُ قُطُوفَ الصَّباحْ،
ويَعْصِرُ فِضَّتَهُ على لُؤلؤِ النَّدى وسَفْحِ الشُّروقْ!
ياعِزَّةَ التَّحْلِيْقِ حين تَتَعَطَّرُ الرِّياحُ بمَنْقُوعِ الشُّمُوسِ
فوق زُنُودِ الرَّياحينِ وأَعْنَاقِ الوُرُودْ!

دَعني أيّها الحُلْمُ النَّبيلُ أَغْرِفْ من جَبِينِكَ زَنْبَقَتَيْنِ
أَنْسُجُ من رِيْقِهِما غَيمَةً من حَرِيْرٍ أَزرعها على جِراحِ الغُروبْ
كيما تَنْزِفُ قَرَنْفُلاً أَحْمَرَعلى دَرْبِ النُّعاسْ
وتَعْجُنُ شَفَةَ الصَّحراءِ بزَيتِ العَنْبَرِالمَسْكُوبْ.

دَعني أَفْرِشْ على السَّحابِ أَحلامَ المَساءْ
وأَصْطَدِ الضِّياءَ من أَكْوَازِ الصَّنَوبرِ في أَحْداقِ النُّجومْ،
دَعني أَجْسُسْ نَبْضَ اللَّامَكَانِ في مِعْصَمِ المَكَانْ
وأَنْصِبْ خَيْمَتَهُ كالهَذَيانِ على سَفَرْجَلِ الأَفكارْ.

أَسمعُ بَطْنَ الوَادي يُقَرْقِعُ بالمَخاضِ العَسِيرْ
ويَفتحُ أَقْفَاصَ الأَجِنَّةِ ليَهدي إليها الحَياة،
اصْرَخْ! اصْرَخْ أيّها الوَادي العَميقُ المُثْخَنُ بالرَّجاءْ
اصْرَخْ واملأْ جَمْرَةَ العُنَّابِ نَاراً ولا تَقبلْ بغير المُستحيلْ
حين تَعودُ الحَياةُ إلى رَحِمِ الحَياة
من مَملكةِ المَوْتِ السَّريريِّ.

# تَحليقُ النُّسورِ على زَفيْرِ الأَبَديَّة

سَكَبَ اللَّيلُ شَعْرَهُ المُستعارَ على غُموضِ الحُقولْ
فأَدركتْ أَنَّها مَأْهُولَةٌ بحِبْرِ القَشعريرةِ والخَوفْ،
ما لِهذا اللَّيلِ يُطْلِقُ وَحْشِيَّةَ اليَاسَمِيْنِ على شُرفاتِ الحَنينْ
ويَطْلَعُ من أظفارِ أَصابعها العِشرينْ
مُضَرَّجاً بشَرابِ عِرْقِ السُّوسِ
وبُنْدُقِ عَيْنَيْنِ مُحَمْلِقَتَيْنِ بحُلْمِ البرُتُقالِ البَعيدْ
ورائحةِ خَرِيْفٍ مُعَطَّرٍ بكَدَمَاتِ العُشْبِ تحت دَعْسَاتِ المَطَرْ؟

هَهُنا صَرخةُ الخُبَّيْزَةِ تَسيلُ من شُقُوقِ الجِدارِ القَديمْ،
تَكبرُ ليلاً حين يَسْنُدُ الفَراغُ خَاصِرَتَهُ إلى عُرْفِ الدِّيكِ
النَّائمِ حتّى صِياحِ الفَجرِ في غَاباتِ السُّمَّاقِ القِرْمِزِيَّة.

اختلطَ اللّيلُ بالبَحْرِ فانتصرَ المِلْحُ على زَبَدِ المَساءْ،
كم مَرَّةٍ سأَصحو على نُخُورِ عِظامِيَ تَعْوِي الانتظارَ
في أَوْرِدَةِ المَكَانِ النَّابِضِ بوَقْعِ أَقدامِ السُّلَحْفَاةِ
وفي عُرُوقِ الزَّمانِ الغافِي
على طَرِيقِ المُستحيلِ في حَبَّةِ رَمْلٍ صَفْراءْ؟
كم مَرَّةٍ سأصارعُ وُحُوشَ الخَيالِ الجَامِحَةَ جُمُوحَ المَجَازِ
ثمَّ أُجالسها لأَتقاسمَ وإياها دَهاءَ حُلْمٍ سَاخِنٍ بنكْهَةِ النَّعْنَاعْ؟
كم مَرَّةٍ ستخذلني الحَقيقةُ وتتركني فارغةً كقِشْرَةِ مَوْزٍ
تتزحلقُ فوق حِكاياتِ السَّحابْ؟

قُلْ لي أيَّ شيءٍ كيما أَتصالحُ مع وَجْهِ السَّرابِ
الثَّابِتِ كالرَّحيلِ في عيني طِفْلَةٍ غَجَرِيَّة،
قُلْ أيَّ شيءٍ كيما أَتذكَّرُ صَوتَكَ الطَّاعنَ بالغِيابِ
عن نَزَقِ البَرْقِ فوق سطوح البُيوتِ القِرميديَّة،
قُلْ أيَّ شيءٍ كيما أَركضُ خَلْفِي على مَهْلِكَ
فوق زُجاجِ البُحيراتِ الأُسطوريَّة

وأَحْتَسي الشَّايَ الأَخضرَ مع ظِلِّكَ المَبْحُوحِ
وأُدْمِي الضِّياءَ في عُيونِ صَفْصَافَةٍ وَهْمِيَّة.

الرِّيحُ تَطيرُ بأَجنحتي وأنا مَمْنُوعةٌ من الطَّيَرانْ!
كم أُحِبُّ تَحليقَ النُّسُورِ على زَفِيرِ الأَبَدِيَّة،
لاتنتظرني عند أَقْفَالِ المَساءِ في عُيونِ الظَّلامْ!
انتظرني في أَلوانِ مِشْمِشِ الشُّرُوقِ في لَوحةٍ تَجريديَّة،
تَجلسُ الأَقفاصُ حيث تنامُ العَصافيرُ عند الغُروبْ
وحيث تُحلِّقُ النُّسورُ تستيقظُ أَبوابُ الحُرِّيَّة.

# أَتَصَفَّحُ ظِلِّيَ على عُروقِ السِّنديان

ما أَبُوحُ بسِرٍّ حين أَقولُ
إنّني أُشْفِقُ على الأَفكارِ من قَعْقَعَةِ الضَّجيجْ،
وعلى ماءِ الوَرْدِ من أُنوفٍ زَكَمَتْها أَقْفَالُ الصَّدأ
في أَحْدَاقِ الشَّخِيرْ،
وعلى أَوراقِ لَيمونٍ نَقَعَها اللَّيلُ في قَيْءِ السُّكارى،
وعلى القُبورِ من صَمْتِ المَوتِ البَطيءِ
في شِفاهِ أَحواضِ الرَّيْحَانْ.

ما أَبُوحُ بسِرٍّ حين أَقولُ
إنّني أُشْفِقُ على الرُّخامِ من اعوِجاجِ العُروقْ،
وعلى القُنُوطِ من ثِقَلِ الكَوابيسِ وانحِباسِ فِضَّةِ النُّورْ،
وعلى حُقولِ الذُّرةِ الصَّفراءِ

حين تُمَشِّطُ شَعْرَها في حِضنِ الإعصارْ
وتَنْثرُ لُهاثها في هَواءِ الفَضاءِ الحَبِيسْ.

كيف جُنَّتِ اللُّغَةُ حين تَحَرَّشَتْ غَيمةٌ صَفراءُ
بحُروفِ العِلَّةِ المُنْهَكَةِ من تَعاقُبِ الحَجْرِ الصِّحِيِّ
على رائحةِ الصَّيفِ وشَفِيْفِ الشُّمُوسْ؟
كيف أَطَلَّ النَّهارُ شَهِيَّاً على حُلْمِ البَحْرِ المَيِّتِ
على رُكْبَةِ المِلْحِ وجَبِينِ الرُّطوبةِ وبَرِيْدِ الزَّبَدِ المَنْسِيّ؟
كيف نامتِ الحَياةُ على صَدرِ ذاكرتي
ونَسِيَتْ أَمريَ فوق سَقْفِ السَّحابِ
الحَافِي من رَجْعِ الصَّدى ونَمَشِ الرَّبيعِ على خُدودِ الشَّمسْ؟

هل لي أن أَنْتَقِيَ من سَلَّةِ أَوجاعيَ وَجَعاً
أَتَمَرَّسُ به وأُعِدُّ فيه أُطْرُوحَتي الأبديَّة،
ومن سَلَّةِ قَلَقِي قَلَقاً أدمنه وأَحترقُ فيه وبه،
ومن سَلَّةِ إحباطيَ إحباطاً أُوَثِّقُهُ مَرْجِعاً في فَهَارِسِ أفكاري؟

هل لي أن أُفرِغَ أَلفاظَ اللُّغَةِ من خَدَرِ العَتِيْقِ
وأَزرعَ صَداها بضَحِكَاتِ اللَّوْزِ وأَجنحةِ الزَّنْجَبِيْلِ
حين يَنْحَسِرُ الضَّبابُ عن عَصافيرِ الحِنْطةِ
ويَشْتَعِلُ التُّولِيبُ في جَسَدِ التِّلالِ وصَحْوِ النَّدى؟

أَتَصَفَّحُ ظِلِّيَ على عُرُوقِ السِّنديانِ
فأراهُ نَوْرَساً يُحَلِّقُ في عُيون البَعِيدْ،
كم أَمْسَيْتَ تُشبهني حين امْتَهَنْتَ الرَّحيلَ وخَذَلْتَ الانتظارَ
في خُيُوطِ السَّرابِ عند مُفْتَرَقِ الحُروفْ،
كم أَمْسَيْتَ تُشبهني حين تَسَلَّلْتَ من نابِ الظَّلامِ
ونَفَضتَ عن جَناحَيْكَ رِيْشَ الخَيالِ
لتَطيرَ حَقيقيّاً إلى رَائحةِ اللَّيمونِ
وبَساتِيْنِ الكَرَزِ في أَعالِي خُدودِ الجِبالْ.

أنا المُسافِرةُ بين جَسدِي وظِلِّي
إلى شَواطِئِ الشَّمْسِ ووَمِيْضِ البَرْقِ

أَسْتَنْسِخُ النُّورَ من جُنُونِ البَحرِ وأَحلامِ البُرتُقالِ
وأَتَنَفَّسُ على مَهْلٍ غُيومَ السِّنديانِ الغَافِي على تِلالِ السَّماءْ
كيما أَسِيْلُ بَنفسجاً في أَحْداقِ النَّدى وعُيونِ النَّسيمِ
وعَبَّادَ شَمْسٍ يُضيءُ عَتمةَ السُّطُورِ
في ذَاكرةِ القَصيدةِ المُزدحمةِ بخُطُوطِ النِّسيانْ.

# انفُضْ الظِّلالَ عن أَشجارِ لَوْزي

القِطَّةُ السَّوداءُ تَموءُ في زَوَارِيْبِ الكَوَابيسْ
تَطْلَعُ على الزَّمَنِ من جَناحِ اللَّيلِ الطَّاعِنِ بالغُمُوضْ،
ياأَبَتِ إنّي خائفةٌ من شِرِّيْرٍ يَرسمُ مَوتيَ تحت فِراشِ السَّريرْ
ومن أنفاسِ أَعْوَرَ يَختبئُ بسَيْفِهِ المَسْلُولِ خلف ظِلالِ السَّتائرْ،
ياأَبَتِ إنّي خائفةٌ من جِرذانٍ تَعبثُ ببَناتِ ذَاكرتي
وتشربُ حَليبَ أفكاريَ ساخِناً كلُهاثِ الضَّوءْ،
ياأَبَتِ إنّي خائفةٌ من رِيْحٍ تَمضي بي إلى النَّهرِ البَعيدِ
حيث تَستحمُّ نارُ الحقيقةِ بنُورِ السَّرابْ.

ضَيْفَةٌ أنا على أَريجِ البنفسجِ في أَحداقِ النَّسيمِ
وعلى نَشْوَةٍ حَلَّقَتْ مع النَّسرِ من فُتاتِ خَاطِرة،
ضَيْفَةٌ أنا على زَهرةِ عَبَّادٍ نازِفةٍ من عُروقِ الشَّمسِ
وعلى قَمَرٍ يَصْبُغُ شُعاعَهُ الطَّويلَ بحِنَّاءَ عابِرة،

ضَيْفَةٌ أنا على ذاتيَ الغَريبةِ تَتَثَاءَبُ من ضَجَرِ الرَّتَابةِ
على زُجاجِ الفَضاءاتِ وجَفَافِ أَفْلاكِها السَّاهِرة.

لاعَسَلَ لِمَنْ لا يَكسِرُ عَتِيْقَ الجِرَارِ في أَقْبِيَةِ النُّجومْ
ليَمسحَ بشَهْدها شارِبَ الغُيومِ
ويُولِمَ سُكَّراً للعَصافيرِ المُسافِرةِ
إلى رَصِيْفِ الغَيْبِ الهارِبِ زَفِيْراً من لِحَاءِ الصَّنوبرِ الجَبَليِّ
حيث يَتسلَّلُ الأُقحوانُ من سُفُوحِ الوَجَعْ.

كلُّ هذا الضَّوءِ لا يُنيرُ جُرْحَ الشَّقَائِقِ في ثَرَى النُّعْمَانْ
ولايُضيءُ وَجَعَ المَفاصِلِ فِي رُكْبَةِ زَيتونةٍ واقِفَة،
حُروفُ العِلَّةِ راسِخَاتٌ في صَدْرِ اللُّغَة
فمتى يَتعافَى الفُؤادُ من شَرايِينِهِ المُغْلَقَة؟

أَيُها الفَجْرُ النَّبيلُ اصْرَخْ زُرْقَةً لأَعْلَمَ أنّكَ ما زلتَ نُوراً
في زَهرةِ البابُونجِ الهارِبَةِ شَرقاً من عُيونِ الغُروبْ،

عُمْرُ الزُّهورِ قَصيرٌ ورَتيبٌ على رُخَامِ القُبُورْ
ومُذَهَّبٌ وفَوضويٌّ على شِفاهِ أَقْوَاسِ قُزَحْ.

أيّها الفَجْرُ النَّبيلُ انْفُضْ الظِّلالَ عن أَشجارِ لَوْزِي
كيما تَسكُنني فِضَّةُ النَّهارِ في عُيونِ السَّماءْ،
الطَّريقُ إلى رائحةِ اللَّيمونِ حافِيَةٌ كزَبَدِ البِحارْ
وطَويلةٌ ورَتِيْبَةٌ وحزينةٌ كدَنْدَنَاتِ الحَصادْ.

يا أَبَتِ إنّي خائفةٌ من مُسافِرٍ يَختبئُ في داخلي الصَّغيرْ
كي يُوقِظَ الأَحلامَ من بِئْرِ الخُلودِ ثمَّ بجَناحَيْهِ يَطيرْ.

# بُرتُقالةُ الشَّاطئِ اللّامَرئيَّةِ

السُّكُونُ سَيِّدُ المَكانْ وأَمِيرُ أَقْفَالِ الزَّمانْ
وابنُ الثَّرى حين تَنامُ النُّجومُ عارياتٍ فوق بُيوتِ الطِّينِ
وحين يَنْبُتُ المَدى من شِفاهِ الرُّمَّانْ
ليَفْتَرِشَ أُرجُوانَ السَّحابْ.

يا عُزلةَ الغَيمةِ يَصطادها الأُفقُ
من ثُمالةِ القَهوةِ في عُيونِ المَساءْ
فتَنْزِفُ بصَمتِ إبْرِيقَ أَحلامِها وَردةً على مَدخَلِ الشِّتاءْ،
أَمَا مِن حُفرةٍ في ضَواحي العَطَشِ الطَّويلِ
تَجمعُ رائحةَ الحُلمِ سَوسَناً في جَدائلِ الرَّيحانْ؟

أَمَا مِن قَرنفلٍ يَسْتَحِمُّ بنَبَضِ الفَجرِ ويَغْفُو في أَوراقِ صَنَوبرٍ
هارِباتٍ من قَيلولةِ الرَّوابي نحو قَوسٍ مُنَمَّشٍ بالقُزَحْ؟

السُّكُونُ ابنُ الصَّمتِ والرُّكُودُ أَخُوهُ وأَبوهما المَوتُ البطيء
يَنْبُتُ من تحت إِبْطِ اللَّيلِ ثم يَنْبُتُ من العَتمةِ من جَديدٍ
كُلَّما حَلَقَهُ الضَّوءُ خلف حُرْشِ السِّنديانْ.

أيّها الهَواءُ النَّاشِفُ تَرَجَّلْ من شُرفَةِ الضَّجرِ الأَبَديَّة
إلى ضَحكاتِ بُرتُقالةِ الشَّاطئ اللّامَرئيَّة!
اعْبُرْ ضِفافَ السُّكُونِ وارْتَجِلْ مَوْجَةً طَائشةً
تَزرعكَ على غَمَّازتَيْها الفِضِّيتَيْنِ أُقحُوانةً في تُرابِ العَبَثِيَّة.

ما لَوْنُ عَيْنَيْكَ أيّها الهَواءُ الثَّقيلْ؟
لا تَقُلْ كَسْتَنَاءٌ! سَئمتُ الكَسْتَنَاءَ في أَقْبِيَةِ السُّباتِ الشَّتويَّة،
قُلْ عِنَبٌ كيما تَنفجرُ ذَاكرةُ الصَّيفِ في حِضنِ الكُرومِ
وتَسْتَحِمُّ أَعنابُها بشُمُوسِ قَنادِيْلِهِنَّ الدَّاخليَّة،

واتركني على قارعةِ الفَجْرِ أُذَيِّلْ دَوَاويني بزُرْقَةٍ تُشبهني
لأَسْتَجِرَّ رُوحيَ المُتمرِّدةَ من كَوابيسِ الرَّتابةِ الهَمجيَّة.

أيّها الهَواءُ الثَّقيلُ لا تُوقِعني بحَبائلِ الزَّمنِ المَديدْ
لانِيَّةَ عندي لإرجاءِ غَدِي إلى ما بَعْدَ الأَبديَّة!

## شُطآنُ الزَّيْزَفُونِ في أَحداقِ المَساءِ

ما لي زَهرةٌ إلَّاكَ تُقاسِمني شِفاهَ الفَجْرِ على نَبيذِ القَصيدةِ
المَأْهُولةِ بعَينَيكَ البَرِّيَتَيْنِ كَرائحةِ البُرتُقالِ في أَوَّلِ التِّشْرِيْنِ
حينَ تَطْلَعُ من عَتمةِ المَساءِ ليَرْشَحَ من أُرجُوَانِها ضَوءُ القَمَرْ
ويَلْتَحِفَ من عَبيرِها غُمُوضُ اللَّيلِ في عُيونِ الشَّجَرْ.

بَلَّلَني المَطَرْ..
بَلَّلَني المَطَرُ حتّى فَاضتْ أُنُوثَتي عن رِياحِ الحَالِمِينْ،
أَوَ يَتَّسِعُ الفَضاءُ للغُروبِ الجَميلِ على شَلَّالاتِ القَصيدة
ولأَنْفَاسِكَ المُعَلَّقَةِ على أَحواضِ الزَّنَابِقِ وشَبَابِيْكِ السَّاهِرين؟

أَسمعُ صَوتَ خُطاكَ يَتمشّى في داخلي الغَرِيبْ
يَزرعُ الغَاردينيا الذَّاهِبَةَ نحو عُرُوشِ الشَّمسْ،
خُذْ ما شِئْتَ منها واتركْ لي واحدةً أُعلِّقُ عليها فَلَكَ أَحلامي

وأَسْرُجُ بها عُطُوريَ ثمّ أَطْفُو على بُخارِ الغَمامْ
لأنامَ على شُرفَتِهِ في حَوضِ نَعناعٍ عَتيقٍ
يَطْحَنُهُ الفَجْرُ فوق عِظامي
فتُشرقُ الشَّمسُ من ضِلْعِ اللَّيلِ الجَميلْ.

جِيْتَارَةَ المَساءِ
قد فَخَّخْتِ أوجاعي وفَتحتِ عليَّ نِيرانَ الحَنينْ،
كُلَّما دَنْدَنَ وَتَرٌ دَمْعَهُ اسْتَحْضَرَكَ إليّ مُوَشَّحاً بالغِيابْ
نِصفهُ حَقيقةٌ ونِصفكَ خَيالٌ ونِصفيَ حَقيقةٌ في حَلْقِ الخَيالْ.

مَرَّ البَحْرُ غَرِيباً من ههنا فتَغَيَّرَ لَوْنُ الرِّمالِ الذَّاهبةِ
إلى أحداقِ النُّجومِ ومَداريَّةِ جَوْزِ الهِنْد،
خُذْ جُورِيَّةَ أَحلاميَ وازْرَعْها في رَحِمِ الشِّتاءِ العَقيمِ
حتّى تَنفَجِرَ الشَّمْسُ وتُنْجِبَ أزهارَ الحقيقةِ يَماماً
على هَدِيلِ القِرْمِيْدِ وسِندِيانِ الأَبديَّة.

ربّما أَصعدُ إلى أَصواتِ العَصافيرِ عند سَقْفِ المَساءِ
أُزَقْزِقُ أَشْجَارَها الكَاسِيَاتِ من أَحداقِ الزَّمانِ وأَوراقِ الحَوْر،
ما أنتَ بحاجةٍ لتَرى شَقائقَ النُّعمانِ تَدْمَغُ عِظامَ السَّحابِ
وتُمْطِرُ مِشْمِشاً على شُطآنِ الزَّيزفونْ،
ما أنتَ بحاجةٍ لتَهُزَّ أَغصانَ الهَواءِ عند الغُروبِ
حتّى تَشُمَّ رائحةَ التُّوْتِ في نَبْضِ التُّرابْ،
ما أنتَ بحاجةٍ لأن تَنْسُلَ خُيُوطاً من قُبَّعَةِ الفَجْرِ
لتَمْسَحَ رَغْوَةَ الصَّابونِ عن وَجهِ السَّرابْ،
انظرْ إلى عَيْنِي تَصْبُبْكَ شَهْداً على خَزَفِ القَصيدةِ
وتَعْدُو إليكَ سَمكةً بَرِّيَّةً تُقَدِّسُ في حُبِّكَ شَهِيقَ الهَواءْ.

# ضَحكةُ النَّيْلوفَرِ على صَدَأ الماءِ

قد تَعَرَّيتَ كالشَّجرِ في فَصْلِ العُرْيِ
حين أتيتَ قُبيلَ الغُروبِ مُضَرَّجاً بنَعْنَاعِ الحَنينْ،
كم من غُروبٍ مَرَّ قبل أن تَتَدَلَّى كشَجرةٍ لَبْلابٍ
على قِرميدِ الوَحْشَةِ وبساتينِ الأَنينْ؟

هل عندكَ ما يكفي من الحَبَقِ لتَملأَ جُروحَ النَّارَنجِ
على طَريقِ البُخُورِ القادمِ من نَجمٍ بَعيدٍ خلف بُيوتِ الطِّينْ؟
هل عندكَ ما يكفي من زَيْتِ الغارِ لتَمْسَحَ جَبينَ زَيتونةٍ مُتْعَبَةٍ
أطالتِ الوُقُوفَ وأَدمنتْ أَفْيُونَ الانتظارْ؟
يا سَيِّدَ الظِّلِّ المُتَّكِئِ على خاصِرةِ شَجرةِ لَوْزٍ
أما سَئِمتَ المُراوَحةَ فوق جِسْرِ العُبُورِ إلى طَريقِ اللَّاعُبُورْ؟

لا بُدَّ من رِيحٍ تُفَجِّرُ ضَحكةَ النَّيْلُوفَرِ على صَدَأ الماءْ
وتُلَمِّعُ زُجاجَ البُحَيْرَاتِ من رَذاذِ الغِيابِ الطَّويلْ،
لا بُدَّ من زَعْفَرَانٍ يُنكِّهُ أَنْفَاسَ المَساءِ الكَئيبِ
من زَنَخِ الفَضاءِ وبُخارِ النِّداءْ.

أنا التي يَقْتَحِمُني الضَّبابُ كلّما ضاقَ على جُرحي المَدى
ويُعيدني من حيث جِئتُ مُشْطَاً في شَعْرِ السَّرابْ،
عَلامَ تُقفلُ في وَجهيَ أَسوارَ المَدينةِ
ولي فيها اسْمٌ وقَلْبٌ ودَرْبٌ يَحملني إلى ذاتيَ البَعيدة؟
عَلامَ تُوصِدُ في وَجهيَ شَبابِيْكَ المَدينةِ
ولي فيها مَساءٌ وسَماءٌ وزَنْبَقَةٌ تَمشي حَافِيَةً على زَغَبِ الغُيومِ
وتَموتُ فوق فِراشِ النُّجومِ
لتُولَدَ من جَديدٍ في حَوضِ النَّعْنَاعِ القَديمْ؟

ولَسَوْفَ أَهتدي إلى بُقعةِ أَرضٍ
أَزرعُ فيها ضَحكةَ أَنَايَ الطَّويلةَ

وأُرَوِّضُ فوقها أحلاميَ المُتَدَلِّيَةَ كسَلَّةِ عِنَبٍ من رُطُوبةِ الفَجْر،
ولَسَوْفَ أَخْرُجُ من الجِرارِ العَتيقةِ شَهْلاءَ كعَسَلِ الجِبالْ
وأَغْفِرُ للنَّايِ بُحَّةَ الحَنينِ في سُعالِ الفَضاءْ،
ولَسَوْفَ أَسْتَدْرِجُ إلى أَحْرَاشِ الصَّنوبرِ ظِلِّيَ العَنيدْ
وأَتَرَجَّلُ من كَستناءِ عَيْنَيْكَ نَاضِجةً لأَرتطمَ بالشَّمسْ.

# في ذِكرى الرَّحيلِ من الرَّحيلِ

انْحَدَرَتِ الغَيمةُ من سُفُوحِ زَفِيْرِيَ نحو ساعدَيكْ
فامتلأَتْ جَرَّةُ الفَخَّارِ بدُموعِ يَقيني ودَهشةِ حاجِبَيكْ،
وعَبَرْتُ زُقاقَ الحَالِمِينْ
ثم نَبَتُّ على جَوانبهِ قَصيدةً مُعَلَّقَةً
تَحترمُ إيقاعَ السَّرابِ في لَيلِ السُّكارى وجُنونِ الوَاهِمِينْ.

وُلدتُ على طَريقِ الحَريرِ كُحْلَةً تَهبطُ من عُيونِ المَساءِ
إلى غاباتِ الرَّحيلِ والمَنْفَى،
أَوَتَتَّسِعُ جُيوبُ اللَّيلِ لكلِّ هذا اللَّيلِ الهَبُوبِ من عَتمةِ الأَنَا
لأَعودَ إلى شَرْنَقَتي مُضَرَّجَةً بأَبَديَّةِ عِرْقِ السُّوسْ؟

يَلزمني قَليلٌ من أَحْمَرِ الشِّفاهِ كي أَستفيقَ من كُحلتي
فهَلّا تَمَشَّيْتَ في داخلي كي أَنهضَ من حُلمي بُرتُقالةً

تَدُقُّ بطِلاءِ أَظفارِها شَبابِيْكَ المَساءِ
فتَطيرُ أَسْرَابُ الحَبَقِ من تَجاعِيْدِ أَحْوَاضِها
لتَربطَ شالَها الزَّيتيَّ حول خَصْرِ الصَّفصافِ
الرَّاقِصِ في ذِكرى الرَّحيلِ من الرَّحيلْ؟

كلّما مَشيتُ حافِيةً لَبسني الخَواءُ في فَضاءِ مَقبرةٍ جَماعيَّة:
هنا يَرقدُ بسلامٍ قَمَرٌ اصطناعيٌّ
وفي حِضنِهِ الصَّامتِ تَرقدُ نَجمةٌ اصطناعيَّة،
هنا رَيحانةٌ ماتتْ من الرَّتابةِ في رُخامِ القُبورْ،
هنا نَعْنَاعَةٌ فَرَكَتْها نِعالُ الرِّياحِ
كيما تُخرجُ من جِلدها عَبيراً لا يَشمُّهُ المَوتى.

لا شيءَ يُشبهني هُنا
فما أنا فاعِلةٌ بمفاتيحَ لا تَفتحُ الأَبوابَ،
وما أنا فاعِلةٌ بزِيُوتٍ لا تُضيءُ المصابيحَ في عَتمةِ أَنايَ،
وما أنا فاعِلةٌ بشَجرةِ حَوْرٍ
صاغتْ فِضَّةَ أَوراقها من مَرَايا العَراءْ؟

اقتربْ قليلاً كي أصقلَ رُخامَ جَبينيَ
من رائحةِ الشَّمسِ وأمواجِ عَيْنَيْكَ
وأَجلسَ فوق الرَّصيفِ لأَتصالحَ مع ظِلِّيَ العَنِيدْ،
اقتربْ قليلاً كيما أُولَدُ من جَديدٍ مَلِكَةً على مَملكةِ الزَّيْزَفُونِ
أَحفرُ على لِحَائِهِ زَنْجَبِيلَ الانتظارْ
ورائحةَ الكَسْتَنَاءِ حين تَعودُ دَافِئَةً
من رِحلةِ الرَّحيلِ إلى الرَّحيلْ.

# لا تَتَأَهَّبْ للرَّحيلِ

ابتعدْ كي لا يَحترقَ الزَّمانُ بنُوسْتَالجيا المُفرداتِ
المُثْقَلَةِ بشَخِيْرِ المَعْنَى خلف أَبوابِ الغُبارْ،
اصطادني الإحباطُ وكانَ ما كانْ،
وَعْكَةً على مَدْخَلِ اللَّيلِ تَكسرُ برَتَابَةِ أَنفاسِها الصَّدى.

لا تَتَأَهَّبْ للرَّحيلِ قبل أن أَقولَ ما لن أَقولَ أَبَدَا!
لا تَتَأَهَّبْ للرَّحيلِ قبل أن يمشيَ الغَيمُ على ظِلِّ البُرتُقالِ
ويَسندَ المُستحيلُ كُوْعَهُ على جِذْعِ النَّخيلِ سُدى!
لاتَتَأَهَّبْ للرَّحيلِ قبل أن أَفْرُطَ رُمَّانةَ البَعيدِ
من أَحمرِ شِفاهِ البَرْقِ وأُرجوانِ المَدى!

لا مُتَّسَعَ لحُلمَيْنِ في حقيبةِ سَفَرٍ يَسكنها اللَّيلُ الطَّويلُ،
اتركني أنا هنا في ضَواحي العَدَمِيَّة

واحملْ معكَ الهَواءَ والضَّوءَ والماءَ
فأمّا النّارَ فأوقدا
عند مَذْبَحِ الشَّمسِ أُهَدْهِدُ على مَهلي حُروقي
لأبزغَ بعد ألفِ حَرِيْقٍ طائرَ فِينيقٍ
يَنزفُ الأَخْضَرُ تحت قَدمَيْهِ من عُروقِ التُّرابْ
ومن ضَحكةِ جَنَاحَيْهِ تَتَّسِعُ أَشْدَاقُ المَدى.

أَنظرُ نحو عَيْنَيْكَ فأرى نَجمتَيْنِ تَحْلُجُهُمَا الغُيومُ
من عَبَثِيَّةِ الوُجُودِ وعَدَمِيَّةِ اللّاوُجُودْ،
عُمْرُ الغَيمةِ قَصيرٌ ودَامِعٌ وحَزينٌ
وكذا عُمْرُ عَيْنَيْكَ معي وكذا عُمْرُ الصَّدى،
لا تَتركني أَقْتَاتُ فُتَاتَ الغُروبِ على مائدةِ الرَّحيلِ
وأَعُودُ إلى لَيْلِيَ أُرَاوِدُ عن عَتَمَتِي نَفْسي
وأَنامُ على صَدْرِ الطَّوى.

لا تَتَأَهَّبْ للرَّحيلِ قبل أن أَخرجَ من ذَاتِيَ كَثيفةً كدِبْسِ الكُرُومِ
وأَذْلِفَ إلى عُيونِ اللَّيلِ دَمْعَةَ حِصْرِمٍ على خَدِّ الكَرى.

# لَوْنُ عَينَيكَ في عُهْدَةِ الغيابِ

قد أَنساني لَوْنَ عَيْنَيْكَ الغِيابُ
حين عَبَرْتُ العَدَمَ على طَرِيقِ التَّلاشي
ووَقفتُ وَحيدةً على رَصيفِ القِطارِ أَسْتَحِمُّ بغُرْبَتي.

كلّما هَزَزْتُ جِذْعَ ذاكرتي
هَرْهَرَ البُرتُقالُ على رؤوسِ الحَالِمينْ
وانهمرتْ فوق الكُرومِ دَغَسَاتُ المَطَرْ،
هل كنتُ أنا وَحديَ أَبكي الغُروبَ في خَلْوَةِ الصَّفصافْ
أم كنتُ أنا وَحدكَ نَبكي الصَّيفَ في عُيونِ الخَرُّوبِ العَتيقْ؟

كأنَّ الحَنينَ يُقْصِيني عن صَوتكَ المَكْسُورِعند رُعافِ الطَّريقْ
فأَنْطَوي على أَشْدَاقِ ظِلِّي وأَوراقِ اللَّيمونِ
تحت صَفِيرِ الخَرِيفْ،

لا أعدكَ بأن تَسمعَ صوتيَ القادمَ أَبَدَاً من قَيْلُولَةِ التُّفَاحْ
أو تَرى وَجهيَ المَخْمُوشَ بكلِّ حُروفِ الأَبجديَّة،
لا أعدكَ بأن تَعودَ من حُبِّيَ مُعافى من شُقُوقِ الرُّمَّانْ
أو أن أَعودَ من حُبِّكَ غير ثُمالةٍ في قَعْرِ فِنجانِ قَهوة.

إنّي أَخْتَصِرُ عُزْلَةَ رَيحانةٍ نَتَأَتْ برأسِها من شُقُوقِ الجِدارِ
واسْتَنْزَفَتْ جَرَّةَ الأَحلامِ وغَفَتْ على صَدْرِ الضُّحى،
لاتَلمني إن تَشَبَّثْتُ بقَوْسٍ يَحملُ أَقزاحَ مَوتي
ورَفضتُ لَيلاً يَزْنَخُ في هَسيسِ الأَسْوَدِ أَبَدِيَّةَ الرَّتَابة.

لا عُنوانَ لمن تَعصفهُ الرِّياحُ على أَرصفةِ اللّامَكانْ
فدَعني أَعصرْ لَيمونَتي بجُرأةٍ على نَمَشِ جُرحي
وأَنسجْ في تابُوتيَ الأَنيقِ مَحَلَّ إقامتي الأَبَدِيَّة.

# حَلوَى العِيد

كلَّ عامٍ وأنتَ بسُكَّرِ الخَيْرِ تَتَحَلَّى،
كلَّ عامٍ وأنا مَلكةٌ أَنْحَلُ لكَ الشَّهدَ طازجاً
من زَفِيْرِ اللَّوْزِ وشَهِيْقِ العُنَّابْ،
وأَقطفُ من عَسلِ عَيْنَيْكَ أَساورَ قافيتي
عَصيَّةً على كلِّ البُحورِ إلَّاكَ.

أَيُّها القادمُ من حَريقِ أَصابعَ كَتبتْ إليكَ
أما شَممتَ دُخانَ النَّعْنَاعِ يَثقبُ الفَجْرَ
ليَشربَ قَهوةَ الصَّباحِ معكَ على سُفوحِ العِناقْ؟

أَيُّها القادمُ من نُتُوءِ الحَبَقِ في شُقوقِ الجِدارِ العَتيقِ
ومن رُسْغِ زَيتونةٍ عَالِقَةٍ بين رَبيعٍ وخَريفْ،
أَيُّها القادمُ من ذاكرةِ الغَيمةِ حين امتلأت بيَقِينِ المَطَرِ

ومن نكهةِ القِرفةِ في نَشْوَةِ خَاطِرة
انتظرني حيث تُعلِّقُ الرِّياحُ أَنْفَاسَها
عند تَقَاطُعِ فَرَاغَيْنِ خلف بَساتينِ الكَرَزِ
تَراني أُثَرْثِرُ زَنْبَقي إليكَ حين يَجِفُّ السَّحابُ
فيَغْرَقُ الفَضَاءُ في دَاخِلِي مِنْ ثُقُوبِ الحَنِينْ
وأَسبحُ في أَنهارِ أَحلاميَ إلى حيث يأخذني السَّرابُ
حَبَّةَ سِمْسِمٍ شَقْرَاءَ على شَفَةٍ حَلْوَى
ويَبتدئُ بالعِيدِ مَعْسُولُ الكَلامْ.

# غَيبوبةُ العَدمِيَّة

أُفتِّشُ عنكَ بين شَظايا اللَّامَكانْ
على طَريقِ العَودةِ من اللَّاشَيء،
لماذا اخترتَ أن تكونَ سَحابةً شَفِيْفَةً
تَستنسخُ أَلوانَها من جُنونِ البَحرِ وعَبَثِيَّةِ الرِّياحْ؟

ارتديتُ الخَوفَ ساخِناً وكانَ ما كانْ،
لا تَلُمني لأنّي مَشيتُ حافِيةً على نَبْضِ السَّرابْ
وعَضَضْتُ بحُلميَ المَبْحُوحِ على نُورِ القَمَرْ،
لا تَلُمني لأنّي انتظرتكَ طويلاً عند رائحةِ الغُروبْ
ورجعتُ إلى غَيْمَتي أَجِفُّ بها على نَفْسي وأَكْتَنِزُ اليَبَاسْ،
لا تَلُمني إن غَفَوتُ خارجَ شَبَابِيْكِ ذَاتِيَ
ثمّ تُهْتُ عنها وما عرفتُ إليها سبيلَ الرُّجوعْ.

كأنَّ هذا اللَّاصَوْتَ صَوتي يَصدحُ في بِئْرِ الخُرافة!
كأنَّ هذا اللَّاظِلَّ ظِلِّي يمشي على العُشبِ مَبْتُورَ القَدَمَينْ!
كأنَّ هذا اللَّاشَيءَ أنَايَ تَسبحُ في فَضاءِ اللَّاشَيء!

نادِني باسميَ الثُّلاثيِّ كي تُوقظَ هُوِيَّتي من غَيبوبةِ العَدَمِيَّة،
عانقني كما تُعانقُ زَهرةُ العَبَّادِ شَمْسَها
كيما أتَوَرَّدُ كالشَّوندرِ السُّكَّرِيِّ في بَطْنِ الثَّرى
ودعني..
دعني على ظِلِّكَ أُسندْ رأسيَ وأَنْدُفْ دَمعيَ
حتّى أكتشفَ أنّكَ حَقيقيٌّ وأنّني مثلكَ حَقيقيَّة.

# لا تَشْكُ لي أَبْكِ لكَ

قُطعانُ الأَجنحةِ المُتكسِّرةِ على نِصالِ الخَيباتِ تَثْغُو
والزَّمانُ خلف البابِ يُطرِّزُ الرِّماحْ،
متى يَتعافى الرُّمَّانُ من شُقُوقِ جَحافِلِ النَّمْلِ الكَئيبْ؟

المَدى مُلْكُ الرَّجُلِ المَدْفُونِ فيكَ
ومُلْكُهُ الغُروبُ، ومُلْكُهُ الشُّروقُ، ومُلْكُهُ الصَّدى،
من ثُقوبِ مَوْتِهِ تُصنِّفُ الأَلوانَ قَمَراً أَنْهَكَهُ السَّهَرْ،
وتَخْبزُ عُيونَ اللَّيلِ من شَعِيرِ الأَرَقِ وقَمْحِ الصُّوَرْ،
فيَهوي عليكَ الظَّلامُ عُزْلَةً مُعْتَصَرَةً
قَطْرَةً فقَطْرَةً فقَطْرَةً فحَجَرْ.

ما سألْتَني يَوماً عن دَمعةٍ غَرقَتْ في إِبْرِيقِ يأسي،
ولا عن قِطَّةٍ جَمعتْ ذُلَّ الخَوفِ في شُقوقِ الجِدارْ،

ما سألْتَني عن هَسيسِ اللَّيلِ المُتَوَسِّطِ
يَغسلُ برُطُوبةِ البَحرِ أَحلامي
ويُعَلِّقُها من أُذُنَيْها كيما تَجِفَّ على حِبالِ المِلْحِ الصَّخريّ،
ما سألْتَني عن حِصَّتي من عَطَشِ الحَالِمِيْنَ
وبَرِيْدِ الوَهمِ وزُكامِ الخَوفِ وسَرابِ التُّوليبْ.

المَدى مُلْكُ المَرأَةِ المَدْفُونةِ في داخلي
ومُلْكُها الغُروبُ، ومُلْكُها الشُّروقُ، ومُلْكُها الصَّدى،
أنا حُورِيَّةُ الصَّمتِ القَسرِيِّ
أَرتدي مِقصلةَ الخَوفِ وشَخِيْرَ الضَّوءِ
ولُهاثَ السَّحابِ ونَمَشَ التَّرَدُّدِ على خُدودِ الشَّكْ
فلا تَشْكُ لي ولا تَبْكِ لي
أَشْكُ لكَ وأَبْكِ لكْ.

# اليومَ ميلادي

لاتتذكَّرْ! دَعني أنا أَتذكَّرْ عنكَ،
أَصْطَفِ لكَ قَمَراً يُحَمْلِقُ بنَجمةٍ عاشقةٍ
لتَزدادَ في عَيْنَيْهِ مَنْفَى ويَزدادَ في عَيْنَيْها وَشْمَا.

تَأَخَّرَ اللَّيلُ الغَريبُ على كأسِ النَّبيذِ،
ليتني كنتُ أَكْبَرَ بغَيمةٍ
كيما أُمطرُ سَلَّةَ المَحرومينَ قَمحاً وخُبزا،
ليتني كنتُ أَكْبَرَ بشَمْسٍ
كيما أُنضجُ جِلديَ وأَخرجُ منهُ
لأَسكنَ زَيتونةَ الغُموضِ الأَخير،
ليتني كنتُ أَخَفَّ وَزْنَا
كيما أَملأُ ثُقوبَ الفَضاءاتِ بأَجنحتي إليكْ،

لكنَّ قَلبي ثَقيلٌ ومُدَجَّجٌ برَصاصِ الرَّحيلْ
وأنا أُحبُّكَ أكثر.

بماذا وَعَدْتَني حين قُلتُ إنّني أُحْتَضَرُ
من الرَّتابةِ في المَوتِ وفي عُروقِ الرُّخامْ؟
بماذا وَعَدْتَني حين شَحَنْتُ اسمي في الطَّريقِ إلى الغِيابْ
وحَمَلْتُ صَحرائي على كَتفِ الرِّياحْ؟
بماذا وَعَدْتَني حين قَصَدْتُ القَمَرَ بهجرةٍ غيرِ شَرعيَّةٍ
ومَزَّقْتُ عند شَواطئهِ جَوازَ سفري وأَعلنتُ غُرْبَتي الأَبديَّة؟

لا تتذكَّرْ! دَعني أنا أتذكَّرْ عنكَ،
اليومَ مِيلادي وأَسمعُ بعَيْنَيَّ فَكَّ الزَّمانِ
يَقضمُ السِّنينَ المُعَلَّقَاتِ على حَدائِقِ بابِلَ منذ لَيلٍ وتَعَبْ،
ما حَزينةٌ لأنّي كَبرتُ وأنا مُتَّكِئَةٌ على خَاصِرةِ ظِلّي،
حَزينةٌ لأنّي كَبرتُ بغَفْلَةٍ من كُرومِ العِنَبْ.

# ثَلجُ الغِياب

قد نَضَجَ العَسلُ في عَينيَّ وما رَجعتَ من الغِيابْ،
أما زِلتَ تَذكرُ وَجهيَ المَبْحُوحَ على طَريقِ الغُروبِ
يمشي إليكَ برِفْقَةِ شَامَتِهِ السَّوداءْ؟

في لِحاءِ الجَوْزَةِ العَتيقةِ أُخفي دَمعتي وأَتَرَيَّثُ بالنَّحيبْ،
لاتُحملقْ بأَحلاميَ المُرصَّعةِ بخُطاكَ
تَحْلُجُ الغَيمةَ على جِدارِ الزَّيزفونةِ العَتيقةِ
وتَصعدُ دَرَجَ القَصيدةِ لتَبتدئَ بالبَلاغةِ البُكاءْ.

على شَبَابِيْكِ الخَيالِ أَزرعُ حُروفَ قَرنفلةٍ وَرديَّةٍ
تَستولدُ من نُطْفَةِ الرِّيحِ الكَلِماتْ،
يابْنَةَ الرِّيحِ صَفِّفي بالمَجازِ شَعْري
وانْزفيهِ رَيحانةً خَضْراءَ من شُقوقِ الزَّيزفونْ!

يابْنَةَ الرِّيحِ بَعثري صَمتي وازرعيهِ سُمَّاقاً
على لَيْلَكِ الشَّمسِ وسُعالِ القَمَرْ!
أنا المُسْتَجْمِرَةُ من جُرحي عُيونَ النَّارْ
فدَعيني أَنْدُفْ ثَلْجيَ على وَجَعِ الرَّحيلْ
وأَمْشِ الهُوينَى إلى حيث ينتظرني الغِيابْ.

# عَلامَ نَختلفُ!

أَتَصَوَّرُ بَرْداً حين يَنْكَسِرُ المَدى
فوق أَنقاضِ الشِّتاءِ العَجوزْ،
أَوَكُلَّما مَررتَ بشُبَّاكي تَركتَ دَمعةً
على شَجرةِ اللَّيمونِ نَدَى!

اقتربْ قليلاً..
اقتربْ قليلاً كي أُجْهِشَ بكَ وتُجْهِشَ بي
ونُعلِّقَ في هذا الزَّمنِ الرَّديءِ جَثامِيْنَ أَحلامِنا
على أَعمدةِ الطُّرقاتِ وأَرْدافِ الصَّدى.

أما جلسنا يوماً هنا عند رائحةِ السَّحابْ
واقْتَسَمْنَا الشَّمْسَ واقْتَسَمْنَا القَمَرَ
والبَحْرَ اقْتَسَمْنَا وأَلوانَ السَّماءْ؟

لماذا تَقرأُ اليومَ حِكايتي العَتيقةَ فَصْلاً ففَصْلاً
من ثُقوبِ الغَيمةِ السَّوداءْ؟

أما مَشينا حُفاةً حين فَقُرنَا،
وانتعلنا النِّعالَ حين قَدرنا،
وقَشرنا القَمحَ حين بَذرنا،
وأَطلقنا عَصافيرنا تَصطادُ الجَوْزَ من شَجرةِ البَعيدِ،
وأَكلنا خُبزاً ومِلحاً تحت ذَاكرةِ الكُرُومْ؟

تَعالَ معي!
تَعالَ معي نُمطرْ معاً كيما يَخرجُ الحَبَقُ زُمُرُّداً
من شُقوقِ رُخامِ مَوْتَانَا،
تَعالَ معي نُضَمِّدْ جِراحَ قِرميدِ السُّطُوحِ وأَرغفةِ الشَّعِيْرِ
ونُنَقِّحْ عُيونَ اللُّغةِ العَسليَّةَ في قامُوسِ أَحْيَانَا،
تَعالَ إلى أَنَايَ تَشربْ معها الشَّايَ المُحَلَّى بعَسَلِ الجِبالِ،
وافتحْ أَبوابَ سُهولِكَ المُوصدةَ كيما أَشربُ الشَّايَ في أَنَاكَ
وأَكتشفُ كم أنتَ جَميلٌ ودَافِئٌ وحَنونْ.

تَعالَ معي نَجتمعْ في مُخْمَلِ الدُّرَّاقِ ونَكهةِ المِشْمِشِ البَلديِّ
وألوانِ العِنَبِ الزَّيْنِيِّ ورائحةِ النَّعْنَاعِ البرِّيِّ،
ودَعني..
دَعني أَطِرْ من فرحي إليكَ
حين أَعْطُسُ في الشِّتاءِ ظِلِّيَ الكَئيبْ
وأَضْفِرُ في الصَّيفِ عُقُودَ الياسمينِ
لأَرْتَجِلَ عِطْرَ الشُّروقِ طَرْحَةً على رأسِ الوَطَنْ.

# ثَعالِبُ العُزلةِ والمَوتِ

تَراني من بَعيدْ
وأَعرفُ أنّكَ تَسْبُرُ أَغْوارَ قلبي خلف أَسْوارِ الحَديدْ،
«إنّي أُحِبُّكَ»
تَرَكْتُها زَنْبَقَةً على مَقْعَدِ القِطارْ
حين طَالتِ المَسافاتُ وهَوى على ظِلِّي الرَّصيفْ.

كيف أَتَمَكَّنُ من الخُروجِ نحو داخلي الشَّوْكِيِّ،
كيف أَتَمَكَّنُ من الصُّعودِ نحو آباريَ الارْتِوازِيَّة،
كيف أَتَمَكَّنُ من لَمْلَمَةِ أوراقِ الخَريفِ لأَصنعَ منها تَوْأَمَ لَوْزِ
أُعَلِّقُ بينهما عِرْزَالِي وأنامُ خلف جَسدي
في أَعالي الهُدُوءِ السَّماويّ؟

قُنْفُذَ الغِيابِ قد أَدْمَيْتَنِي وانْسَدَلَ الخَريفُ على حُلمِ الخُرافَة،
فوق جِبالِ الغَيمِ أَهبطُ هُبوطَ خَيْمَةٍ
نَصَبَتْ سِيقانَها رِياحُ الخَماسينْ،
أمَا من طَريقٍ أُوَدِّعُ فيها عَرَبَةَ نَعْشِي وأُعانِقُ منها خُبْزَ السَّماءْ؟

تَشابَهَ الكَوْنُ وبَقيتَ فَريداً فَريدا،
ضَعْ يَدَكَ حول خَصري كيما أَخرجُ من جُثمانيَ طِفلةً عَنيدة،
يابنتي لا تَمنحي قاتلَكِ شَرَفَ النَّظرِ في عَيْنَيْهِ،
اغْرِسي قَدَمَكِ الصَّغيرةَ ببَطْنِ الجَبلِ شَجرةَ زَيتونٍ
وحَرِّري بخَوفِكِ كُرومَ العِنبِ من ثَعالبِ العُزلةِ والمَوت،
لاتَكْسري الهَواءَ بصَرخةِ ذُعرٍ ولا تُجْفِلي بنَحيبكِ المَدى
فرَيحانُ الفَضاءِ ناعِمٌ أَبيضُ وحَنُونْ
يُرطِّبُ بقُطْنِ السَّحابِ قُرّاصَ الحُروقْ.

أَيْلِي لماذا شَبَقْتَنِي وأَنا عَبْدَتُكَ الصَّغيرة؟
أَيْلِي لماذا شَبَقْتَنِي وأَنا فَراشَةُ الحَقلِ البَتِيْلَة؟

إنّي أَراكِ هناك تَخرجينَ من كَلِماتِ السَّماءْ،
تَغسلينَ بدَمِكِ الطَّاهرِ وَجهَ القَمَرِ الحَزينْ،
يا وَردةَ السَّرِيْع!
يا وَردةَ السَّرِيْعِ غداً نَصْحُو لنعرفَ ما فعلنا،
أَفْرِغِي اللَّيلَ من عُيونِهِ السَّوداءْ
وعَلِّقي على أَقْرَاطِهِ سُؤالكِ الطَّويلْ
واقْطِفِي من أَصابعِ الفَجْرِ جُلَّنَارَ النَّهارْ
فالنُّورُ لكِ والعَتمةُ لنا.

«إنّي أُحِبُّكَ»!
تَركتها شَقِيْقَةَ نُعْمَانٍ على مَقعدِ الانتظارْ
حين طَالَتِ المَسافاتُ وسالَ على ظِلِّي دَمُ الرَّصيفْ.

# على نِيَّةِ الزَّمنِ الجَديدِ

من ضَوءِ عَيْنَيْكِ يَبْتَدِئُ نَهاري،
الشَّمسُ أُنثى ونَسيمُ التَّوابِلِ إليها دَافِئٌ وحَنونْ
وأنا سَئِمتُ من المَنْفَى.

الشَّمسُ أُنثى تَنَامُ على صَدري فتَتَّسِعُ السُّجونْ
وتَخِفُّ حُمولةُ الغِيابِ ويَنزفُ خَيالُ المَجازِ
على وَقْعِ أقدامِ أُنثى.

الشَّمسُ أُنثى
تُبحرُ في المُتوسِّطِ بَحثاً عن كِذْبَةٍ بَيضاءَ
فيَرتديها طُحْلُبُ المَوتِ على هَودجِ الجُنونْ
ويَحملها إلى أَرضِ البَعيدِ
كي تُضيءَ عَتمةَ البَنفسجِ على شَامةِ القَصيدةِ أُنثى.

سأَختارُ اسمي من شَجرةِ تِيْنٍ عَلَّهُ يَحْلُو
حين تَسيلُ الشَّمسُ على شَفَتَيْهِ
وتَسندُ إلى خَدِّهِ خَدَّها المَحْمُومَ
فأَنضجُ أنا وتَقطفني أُنثى.

عانقيني!
عانقيني كي أُولَدَ رَجُلاً من مَرْمَرِ كَتِفَيْكِ
ودعيني هناك تتخاطفني أَفكارُ حُرِّيتي
ما عُدتُ قادراً على عَفَنِ الحُرَّاسِ وفَظاظةِ المَنْفى.

عانقيني وافْقَئي عُيونَ اللَّيلِ
واعْجُني بين يديكِ الدَّافئتينِ قلبي
كيما يَنفجرُ الفَجْرُ على شُبَّاكِ زنزانتي
فأَبْزُغُ هناك أَحمرَ شِفاهٍ على شَفَةِ أُنثى.

عانقيني واغسلي الشُّعاعَ سَبْعَ مَرَّاتٍ
كيما يَبْيَضَّ وَجْهُ النَّهارِ الكَئيبِ
وتعالي على رُكْبَتي نُؤنِسْ وَحْشَةَ الصَّقيعِ
ونَأكلْ معه، على نِيَّةِ الزَّمنِ الجَديدِ، خُبزاً ومِلحا.

# دَافْنَا الإغريقيَّةُ أَرْمَلَةُ السُّكُونِ

أنا أَرْمَلَةُ السُّكُونِ أَدقُّ على عُروقِ البَلُّوطِ حالتي العائليَّة
وأُعَلِّقُ على رُمُوشِ اللَّيلِ أَثْوابَ الحِدادِ
وأُنْشُوطَةَ شَعْرِيَ وجَواربي السَّوداءَ ومناديلَ رأسيَ المَحْنِيَّة.

«هنا عَزاءُ السُّكُونِ والسَّكينةِ»
يُشيرُ السَّهمُ المُتَسلِّقُ كالماعِزِ الجَبليِّ على الطَّريقِ الزِّراعيَّة،
تحت جَدائلِ الزَّيتونِ أَنْصُبُ خَيمةَ عَزائي،
أُفَكِّكُ حُروفَ المَوتِ من رائحةِ القَهوةِ وحَبَّاتِ الهالِ المغليَّة
ثمّ أَجمعها في نَسِيجِ الظَّلامِ دُودةَ قَزٍّ في عَباءةِ جُملةٍ اسميَّة.

يَتَحَرَّشُ بي دِيْكُ الضَّجِيْجِ من حاكُورَةِ القَريةِ الشَّرقيَّة،
يَلْهَثُ ورائيَ كالزُّنبورِالمَلْسُوعْ..
أَسرعي يادَافْنَا الجميلةَ أَسرعي

لا تَستبدلي رُقِيَّ السُّكونِ بضَجيجِ الهَمَجِيَّة!
يا أَبَتِ الإلهُ ساعدني، ساعدني ياأَبَتِ!
اقْتلعني من هذه الأَرضِ المَسْكُونَةِ
أو ازرعني فيها شَجرةَ غارٍ مَنْسِيَّة
قبل أن يَمَسَّني أَبُولُونُ الشَّقِيُّ بفُحُولَتِهِ الوَهميَّة.

أَستيقظُ على صُراخيَ لأَكتشفَ أنّني
ما كنتُ يَوماً زَوجاً ولا أَرملةً
ولا دجاجةً تَحَرَّشَ بها دِيْكُ الحاكورةِ
وما وَطِئَتْ قَدماي أَثِيْنَا
وما قَرأْتُ يوماً أَساطيرَ الآلهةِ الإغريقيَّة.

# الغُروبُ الأَنيقُ

يَرْشُفُ الغُروبُ الشَّايَ الأَحمرَعلى صَهْوَةِ السِّنديانِ
فيَنْبُتُ الزَّمانُ طازجاً من زَهرةِ البُرتُقالِ
ويَسْتَنْسِخُ المَدى رَيحانةَ الخُلُودِ من شَفَةِ الحقيقة.

أَتَحَرَّشُ بالغُروبِ لأَقولَ لظِلِّيَ إنّني هاهنا
أَحتسي فنجانَ البابونجِ المَغليِّ على حَطَبِ الانتظارِ
وأَتسكَّعُ في بَرِيْدِ الصَّدى ورَسائلِهِ الصَّوتيَّة،
لا صَوتَ غير صَوتي يَرْوِي حُقولَ الهِنْدِبَاءِ
من شُقُوقِ الجِبالِ المَنْسِيَّة.

أيّها الغُروبُ الأَنيقُ عَلِّمني أَلوانَ السَّكينَة
كيما أَستدرجُ صَفْوَةَ اللَّيلِ من جُدْجُدٍ غَنَّى
وأُخَفِّفُ من حُمُولَةِ النَّومِ أَحلاماً تَتَمَطَّى
تُطَرِّزُ سَماءَ الصَّحراءِ بسنابلَ ذَهَبِيَّة.

أَيّها الغُروبُ الأَنيقُ عَلِّمني أَلوانَ اليُوغَا
وبَلاغةَ الصَّمتِ وأُلْفَةَ التَّأَمُّلِ
حين يَسيلُ الحُبُّ من عُيونِ الغُروبِ البُرتُقاليَّة.

ماكُنْتُ أنا برفقتي حين أَطلقتُ سَرَاحَ نِصفي
من آبارِ الوَهْمِ وغَيبوبةِ العَدَمِيَّة،
ما كُنْتُ أنا بصُحبتي حين مَشيتُ على الغَيمِ حافِيةَ الشَّفَتَيْنِ
لأَضربَ مَوعِداً مع المُستحيلِ فوق أَشجارِ الأَبديَّة،
ما كُنْتُ أنا حين ارْتَجَلْتُ نَهْرَاً لا ضِفافَ له
وجلستُ هناك أُبَلِّلُ رَغيفيَ النَّاشِفَ
بلُعابِ السَّرابِ وعُرْيِ الهُوِيَّة.

لاتَسَلْني من أنا!

أنا عَدَّادَةُ اللَّيلِ أَحصي النُّجومَ نَجمةً نَجمةً

وأَسْتَضِيءُ حُبّاً على أَنوارِ غَمَّازاتِها الوَهميَّة.

## عندما تَضَعُ القَهوةُ أَوْزَارَها

تَلْثَغُ الرِّيحُ بالسِّيْنِ حين تَهبُّ باسْمِي إليكِ..
شَآمُ لا تُوقظي وَجَعَ المَفاصلِ في دَمِي
بعد أن أَثْقَلْتُ جَناحَ الهُدْهُدِ بشَجرةِ لَوْزِي
وعَجَنْتُ بعُشْبَةِ النِّسيانِ ذاكرتي
وأَغلقتُ صُندوقَ البَريدْ.

شَآمُ لا تُضَيِّقي طُرُقي في حَضرةِ المُستحيلِ
فإلى أين يَأخذني جُوعي إليكِ،
وإلى أين يَأخذني دَمعي إليكِ،
وإلى أين تَأخذني سَفَرْجَلَةُ الوَجَعِ في صَفْراءِ عَيْنَيْكِ
تَتَغَاصَصُها أَقْدَامُ الفَراغِ وثرثرةُ الصَّدى.

أيّتها الغامضةُ في مَصيريَ لا تُؤنسيني
في وَحشةٍ تَستولِدُ اللَّيلَ من إِبْطِ الغِيابْ،
كُلّما اكتملَ البُعادُ والتحفتُ بشرنقةِ السَّكينة
تُعلِّقينَ أَسْرابَ الحَبَقِ على حِبالِ الغَسيلِ
وتَنبتينَ من جَديدٍ كالنَّعْنَاعَةِ في أَحواضِ دَمِي
فأَشربُ قَهوتيَ الصَّباحيَّةَ على مَهْلِ الرَّيحانِ
وأَرقبُ الأَزرقَ يُشرقُ من جُذورِالرُّمَّانِ
وأَعنابِ الحَوْرِ وأَرْدافِ الصَّفصافِ وزَيتونَةِ الغُروبْ.

# عُزلةُ الحَنينِ

أدركني النُّعاسُ فعانقني حَنيني إليكَ
نَرجِساً يَتبَخْتَرُ بين نُجومِ السَّماءِ وضِفافِ عَيْنَيْكَ
ليَخْمُشَ وَجهَ القَمرِ عند الرَّحيلِ من رَصيفٍ إلى رَصيفْ
على رُخامِ اللَّيلِ المُنْتَشِي
بأَريجِ العِطْرَةِ ورائحةِ الزَّمنِ الجَميلْ.

أَتركُ أَحلاميَ في عُهْدَةِ الجِبالِ تَلْهو مع عَصافيرِ التِّيْنِ
وعلى شَبَابِيكِ الحَبَقِ أُطلقُ سَراحَ رُوحيَ
تَتقاسمُ واللَّيلَ كَسْتَنَاءَ الظِّلِّ وعُزلةَ الحَنينْ،
ههنا أَنسجُ عَباءَةَ التَّفاصيلْ
أُعلِّقُها على تُوْتِ السِّياجِ
وأَعودُ من حيث جاءَ بي الحَنينُ إلى كَهْفِ القَصيدةِ
أُضيءُ ثُريَّاتِ المَعاني وأَغزلُ حَريرَ المَجازِ،

وأَفتحُ أَزرارَ اللُّغةِ قُمصاناً من النَّعْنَاعِ البرِّيِّ،
ثمّ أَعتزلُ الكَلامَ وأَرْتَجِلُ السُّكُونْ.

تَتقاذفُ السَّناجِبُ جَوْزَةَ أَحلاميَ على شَجرةِ سِنديانْ،
في خَريفِ اللَّيلِ يَكْنُسُنِي حَنيني إليكَ وَرَقَةً صَفراءْ،
كم عاهدتُ نَفْسيَ أن أُقاطعَ لُغَةَ الاشتياقْ
وأن أَدخلَ إلى القَصيدةِ بذاكرةٍ عَذراءَ عَذراءْ،
كم كَذبتُ على نَفْسي حين دَندنتُ للحُزنِ كيما يَنامْ،
وكم خَدعني الحُزنُ حين قَطَفَ دَندناتيَ ونامَ وما نَامْ،
وأَسيرُ نحوي في سَلَّةِ الوَجَعِ المُحَمْلِقِ بالظَّلامْ
فأَجدُ نَفْسيَ في زاويةِ القَصيدةِ قَصِيَّةً تَكْرَعُ الدُّموعْ
وأَعلمُ أنّ سَمَكَةَ الشَّوقِ لا تنامْ،
وأنّ نَحْلَةَ الحَنينِ لا تنامْ،
وأنّ لَسْعَةَ أَشواقي إليكَ
قد دَخلتْ منذ فَراغٍ بَعيدٍ مَنْظُومةَ نِيرانها الأَبديَّة.

# بَصْمَةُ قَدَمَيْكَ

ارسُمْ على شاطئِ البَحرِ البَعيدِ بَصْمَةَ قَدَمَيْكَ
كيما يَخْضَوْضِرُ الرَّملُ كحبَّاتِ البُندقِ قبل اليَبَاسْ،
وعندما يَفتحُ الفَجرُ أَبوابَهُ سَلَّةَ خُبْزٍ لكلِّ المَحرومينْ
تَعالَ نتناولْ فُطُورَنا الرَّتِيْبَ على ضِفافِ الزَّنْجَبِيلْ
حيث تُولَدُ الشَّمسُ من شُقوقِ الرُّمَّانْ.

طالَ الطَّريقُ وفَرَكَتِ الرِّيحُ رِمالَ قَدَمَيْكَ بمِلْحِ البِحارْ،
إنّه جُرحيَ ما زال يبحثُ عنكَ في جُذوعِ السِّنديانْ
وعِطرِ البُرتُقالِ ورَجْعِ الصَّدى من شُقوقِ الجِبالْ.

في حَوْضِ أحلاميَ أَزرعُ نَعْنَاعَ لُقْيَاكَ
فيَنْبُتُ طَرْخُوناً خَائناً لا يُرشدني إلى شيءٍ سوى المَنْفى،
هل كنتَ أنتَ أنتَ وهل أنا ما زلتُ أنا

أَخرجُ من شَجرةِ التِّينِ إليكَ
لأُطلَّ على سُفوحِ الرَّيحانِ فاكهةَ ضَوْءٍ تُنيرُ المَدى؟
هل كنتُ أنا أنا وهل أنتَ ما زلتَ أنتَ
سَحابةً تَسندُ كُوْعَها إلى تُوْتِ السِّياجِ
لتزرعَ قُبْلةً على خَدِّ الصَّدى؟

صَفِّقْ لأَحواضِ الحَبَقِ تَسْتَوْلِد من حَفيفها هَواءَ الحَالمينْ،
صَفِّقْ لكُرومِ الدَّوالي تَعتصِرْ من أَعنابها سَكْرَةَ العَاشقينْ،
واتركني هناكَ أَلْتَمِعْ مثل السَّرابِ في دَمْعَةِ الغُروبْ
وأَحلم في ليالي الشِّتاءِ الطَّويلِ أنّكَ عُدتَ لتَرسمَ من جَديدٍ
بَصْمَةَ قَدَمَيْكَ على رِمالِ البَحرِ الصَّيفيَّة.

# جزيرةُ الزُّمُرُّدِ

بين شَظايا العَدَمِيَّةِ قُبَيلَ التَّشَظِّي
يَختصرني الخَوفُ وَرَقَةَ دُلْبٍ في مُعْتَصَرِ الرِّيحِ
ومُسْتَقْطَرِ العَتَمَةِ الزَّرقاءْ
أَستحمُّ بنارِها الأَبديَّة.

رائحةُ القِرفةِ المَغْلِيَّةِ تَخرجُ عَاريَةً من مَساماتِ المَنْفَى،
تَمتطي قَهْقَهَةَ الأَرِيْجِ عند مُنتصفِ الطَّريقْ
فتَمضي بها الهُبُوبُ إلى قَمرِ الرُّكامْ
لتَزرعَ على خاصرةِ النُّجومِ شَامَةً صَفراءْ
قبل أَن يَعودَ الزَّمانُ من عُطلتهِ الصَّيفيَّة.

زُمُرُّدٌ خَطفتهُ الأُسطورةُ من أَظْفَارِالحَقيقةِ وجِلْدِ الظَّلامْ
أَثْخَنَتْهُ في جزيرةِ الغِيابِ قَلباً طازَجاً

وأَرْضَعَتْهُ من ثَدْيَيها خُلودَ الأَساطيرِ وحليبَ الغَمامْ
فنَبتتْ من لِحاءِ الرَّبيعِ شَجرةُ لَوْزٍ
عند مُفترقِ الخَيالِ عن الخَيالْ
وأَيقظَ النِّسيانُ أَمِيْرَ الصَّدى على هَسيسِ الخَاطرة.

ماعُدتَ تُشبهني يازُمُرُّدَ العَصافيرِ وأُسطورةَ الغِيابْ
مُذْ نَازَلَ النَّسرُ تَحليقَ البُغاثِ عند فُتَاتِ السَّرابْ،
سأَكتبُ عليكَ برَائِبِ الضَّوْءِ
النَّازِفِ من شريانِ سَفَرْجَلَةٍ صَفراءْ
اركُضْ..
اركُضْ حين يَذوبُ اللَّيلُ في عَتمةِ عِرْقِ السُّوسِ المَهجورْ،
ما يَنفعكَ انتظارُ اللَّاأَحَدَ في رُبوعِ اللَّامَكَانْ
على شَبَابِيْكِ الأَساطيرِ تَتَلَصَّصُ مُستَئذِناً قِممَ الجِبالْ،
اركُضْ ولا تَنْسَ صَوتَكَ عالِقاً على سَاقَيْنِ مَبتُورَتَينْ
قد رَحلَ الزُّمُرُّدُ وما بَقيَ من الأُسطورةِ إلّا
مَشْوِيُّ العَتَمَةِ ومَسْلُوقُ الغِيابْ.

# زَيتونةُ الجَبلِ البَعيدِ

لاتَشيخُ عَينايَ ما دُمتَ زَيتونةَ الجِبالِ
عند مُفترقِ الشَّهيقِ عن الزَّفيرْ،
في مَخاضِ السُّفوحِ الحُبلَى بشَقائقِ النُّعمانِ
تَرْتَجِلُ أَحمرَ الشِّفاهِ من عاشِقةٍ تَغفو على دَرَجِ القَصيدة.

من شُقوقِ الأَزَلِيَّةِ أَرْصُدُ نُزهةَ الغُيومِ
حافِيةً فوق حُروفِ الأَبجديَّة
تَسْتَسْقي بإبريقِ الفَصاحةِ عُزلةَ المَعاني حَرفاً حَرفا
فتكسرُ صَحراءَ الصَّمتِ بين الكَلماتِ في ضِيافةِ اللُّغةِ الأَنيقة
وأَتَشَبَّثُ أنا بعَصافيرِ أَحلامي إليكَ.

لا أُسامحُ أَحداً بحِصَّتي
من حِنْطةِ الحَصادِ ورائحةِ عَرَقِ جَدَّتي
في الطَّريقِ من الصَّباحِ إلى الغُروبْ،
لا أُسامحُ أَحداً بحِصَّتي من مَذَاقِ النَّايِ البَرِّيِّ
حين يُولَدُ من رَحِمِ أَحلاميَ ساخِناً
فيَتقاسمُ وإياها دِفْءَ الحَنينِ إلى الخَيالْ،
لا أُسامحُ أَحداً بحِصَّتي في أَحْراشِ صَنوبَرٍ غَلَبَها الوَسَنُ
فنامتْ على هامِشِ الجَبلِ الغَريبِ
المُقَفَّى ببَلاغةِ الصَّدى وبُرتُقاليَّةِ المَدى.

كم أنتَ حُرٌّ أيّها الزَّيتونُ في قِممِ الجِبالِ لا تَتَرَجَّلْ،
تَخْضَوْضِرُ بعد الخَريفِ وقبله تَخْضَوْضِرُ
حين يُدَلِّلُكَ الصَّيفُ أَكْتَافَ دَورتِكَ الدَّمَوِيَّة.

على عِصِيِّ القاطِفِيْنَ تَصْحُو،
يَرتَديكَ الهَواءُ في هَسيسِ الضَّوءِ وزَوَّادةِ الفَلّاحينْ
فيَتَّسعُ في عَيْنَيْكَ زُمُرُّدُ المَدى ويَتَّسِعُ من حَفيفِكَ الصَّدى
وتُعَرِبشُ على المَجَرَّةِ من جِرارِ الفَخَّارِ الأُسطوريَّة.

لا تَشيخُ عَيْنَايَ ما دُمتَ زَيتونةَ الجِبالْ
عند التِقاءِ الزَّيتِ بصابُونَةِ الغارِ النَّدِيَّة.

# أيّتها الغَريبةُ انْفَصِلي الآن عنّي!

كان الصَّدى يُهرولُ خلفي حافِيَ القَدَمَيْنِ

مُنهمكاً بتَوزيعِ البَرِيْدِ الفارِغِ منّي وإليَّ،

هل من جَديدٍ يَلُوكُ صَبْرِيَ كماعِزٍ جَبليٍّ

ويَلصقني قبل طُلوعِ الأَزْرَقِ طَابَعاً رَسميّاً

على رُخامِ الغُربةِ ومَكاتِيْبِ الغُيَّابِ

لأَسِيْلَ مثل تُوْتِ السِّيَاجِ فوق قَمِيصِ النُّجومِ

في غاباتِ السُّمَّاقِ المَنْفِيَّة؟

أَسمعُ سُعالَ الرَّيحانِ يَملأُ المَدى في طَريقِ السَّحابْ،

وأَشمُّ رائحةَ الصَّدى

في جِلْدِ لَيمونةٍ مَعْصُورةٍ فوق مَنْقُوعِ السَّرابْ،

وأَذُوقُ النَّدى نَشْوَةً لا تُشبهُ النَّشَواتْ،

أَتَشَرْدَقُ بظِلٍّ غَسَلَتْهُ غَيمةٌ نازِفَةٌ من عُروقِ السِّنديانْ،
وأَتعثَّرُ برائحةِ الصَّيفِ المُحَلَّى بسُكَّرِ الأَعنابْ
فَتَفِيْضُ من قِرمزيَّةِ النَّبيذِ أَعْنَاقُ الدِّنانِ وشِفاهُ الأَكوابْ.

يا غَريبةً عنّي وسَرابُكِ يَسكنُ طَوَابِقَ ظِلِّي
تَعالي نُغَنِّ ذاتنا عند مُفترقِ القَرَنْفُلِ المَهْجُورْ
فنَصيرُ للفَراشاتِ بُقعةَ ضَوءٍ
تَنبتُ من رُمُوشِ البُرقوقِ وكَآبةِ النَّرجسِ البَرِّيِّ،
ولقارِئةِ الفُنجانِ تعالي نُصبحْ قَهوةَ صَباحٍ
تَتحرَّشُ خُطوطُها الزَّائغةُ بصَنوبرِ آمالِنا
وتُعلِّقُ على أَكْوازِهِ أَحلاماً نامَ إليها الحَنينُ
فأيقظَتهُ رائحةُ البُنِّ المَغليِّ على أَنفاسِ الشَّمسِ المَبْحُوحة.

يا غَريبةً عنّي ارفعي الآن ظِلَّكِ وانْفَصلي عنّي
ودَعيني وحدي أَحْلُلْ ضَيفةً على أَسِرَّةِ قُبُوري

أَتَفَقّدُها، أُجَرِّبُها، وأَموت فيها ألفَ مَرَّةٍ
قبل أن أُنْزِلَ حُمُولَةَ هَوْدَجِي
ليَمتلئَ قَبريَ بسَكينتي العَتيقة
وتَغرورقَ عُيونُ النُّجومِ بأَنوارِ الحَقيقة
وأَتفرَّغُ على مهلٍ لمَوتيَ البَطيء عند أبوابِ الرَّحيلْ.

## مازلتُ خائفةً

ابتعدْ! خَطرُ الرَّمادِ يُحَدِّقُ إلى عَيْنَيْكَ
وحَفيفُ أَشجارِهِ أُغنيةُ الحاوِي لقَيْلُولَةِ الأَفْعَى
عَلَّقَتْ على غُصنِ الصَّفصافةِ أنيابها العَطشى
تَستدرجُ النَّدى من غَيمةٍ عَبَرتْ فوق سَفْحِ الرَّابية
أَلقتْ عليها تَحيَّةً زَرقاءَ أَيقظتْ تُفَّاحَها
من غَفْوَةٍ نَزَفَتْ عند أَطرافِ القَصِيدْ.

في أُغنيةٍ فَوضَويَّةٍ أَختصرُ شَوقي إليكَ:
أنا اللَّيمونةُ التي نَسيتْ في عُيونِ الكُرومِ طُفولتَها
فتَثاءبَ الأَصفرُ المَبْحُوحُ في وَجهِ الهَواءِ
بين فاصِلتَيْنِ مُعْتَرِضَتَيْنِ لجُملةٍ اسميَّة.

أنا زَهرةُ عَبَّادِ شَمسٍ دارتْ حولَ الشَّمسِ أَلفَ دَورةٍ
ولم تَجدها فسَقَطْتُ مَغشيّاً عليَّ.

أنا رائحةُ المَرْيَمِيَّةِ المَغليَّة
خَبَّأْتُها في وِسادتي المُنَشَّاةِ بصابونةِ الغارِ وعِطْرِ جَدَّتي
حِين اقْتَلَعَ المَغُولُ أَشجارَ تُوْتَتي الشَّامِيَّة.

أنا مَن كَسرتْ إِبريقَ الزَّيتِ حين كنتُ صغيرةً
فسجنتني أُمِّي في غُرفةِ الفِئرانِ خَمسينَ عاماً
مارستُ فيها الخَوفَ عنّي وعن سائرِ البَشريَّة
وما زلتُ خائفةً يا أُمِّي
ما زلتُ يا أُمِّي في غُرفةِ الفِئرانِ خائفةً مَنْسِيَّة.

# من شُقوقِ الغَيمةِ تَدْلِفُ الشَّمسُ

على رُقْعَةِ الظَّلامِ يَلعبُ اللَّيلُ النَّرْدَ
وتَجُوعُ الضَّواري وتَعوي الذِّئابُ
ويَملأُ الهَواءَ ثُغاءُ الخِرافِ وأَزِيْزُ الشِّواءْ.

مَن اسْتَرْعَى الذِّئبَ الغَنَمَ
ليَنكسرَ الزَّمانُ ثُمالةَ قَدَحٍ
ويَفيضَ المَكانُ بسِيرتِهِ الذَّاتِيَّة
قبل أن تَغتسلَ الشَّمسُ برُطُوبةِ الأَبَدِيَّة؟

مازالَ الغِيابُ على حَالِهِ
تَابُوتَ السَّكِينةِ وعُشْبَةَ النِّسيانْ،
لا شيءَ يَهجُرُ ثمَّ يَعودُ
إلى تِيْنِ الجِبالِ عَسَلاً مُصَفًّى وزَهرةَ لَوْزِ

تَتَفَتَّحُ كالفَجرِ على أَقراطِ اللُّغةِ وسُفوحِ المُفرداتْ.

كُلَّما طالَ الغِيابُ ضَمَّني اللَّيلُ إليه بغَمَّازَتَيْهِ شَبَحاً
يَخرجُ عليَّ من أَصابعِ قَدَمَيَّ ونَبضِ الصَّدى
ليَزرعَ على شُرفتي لَيمونةَ البَعيدْ
وعلى حِنَّاءِ شَعْري قِرمزيَّةَ المَدى.

آنَ للشَّمسِ أن تَدْلِفَ من شُقوقِ الغَيمةِ شَرْنَقَةً
تَسيرُ على وَجْهِ النَّبيذِ حافِيَةً وتَركضُ أَماميَ
لأَتْبَعَ رائحةَ الكُرومِ الجَبليَّةِ
في أَناشيدِ الرُّعاةِ ودَنْدَنَاتِهِم الصَّباحيَّة
وأُسافرَ الهُوَيْنَى إلى لا أَدري
شامةً على خَدِّ فَراشةٍ صَفراءَ
أو سَمَكةً مُتْعَبَةً في مياهِ المُتَوَسِّطِ المَشْوِيَّة.

# لا وَقتَ للعِناد

لا تُعلِّقْ على حِبالِ صَمتي سُؤالاً،
ولا تَزرعْ على مَدْخَلِ نَهاريَ أَحلاماً،
ولا تَسْتَمْطِرْ ماءَ النُّورِ من سَنابِلِ جَدائلي الذَّهبيَّة،
إنّي هنا خلف البابِ أَختبئ
وصَوْتُ الفَراغِ يُقَرْقِعُ في داخلي،
لا جَوابَ عندي وطُبولُ الحَربِ تَدُقُّ في مِعصمِي
وبناتُ آوى تَرْتُقُ ثَوبَ البَشريَّة
وأنا هاربةٌ من قَدَري
كم تَعِبنا قبل أن نَكتشفَ أَسْمَاءَنا الحَقيقيَّة.

لا وقتَ للعِنادِ اختبئ معي
في غَيبوبةِ اللَّيلِ الطَّويلِ
نَحْتَسِي سُمَّ الأَفاعي فاتِراً

خلف حِرْشِ السِّنديانْ
والرِّيحُ تَشْخُرُ عند قارِعةِ الحُرُوبْ،
لا وَقْتَ للعِنَادِ اخْتَبِئ مَعِي
كيما نَموتُ في بَطْنِ الحَقيقة.

على مَدْخَلِ اللَّيلِ يُغَرِّدُ الخُفَّاشْ
يَرمي بصَوتِهِ في المَدى نَجمَ السَّماءْ،
عَبَثاً أُفَتِّشُ عن جُذورِ الهِنْدِباءْ
كي أُطعمَ الأَطفالَ خَيْرَاتِ الجِبالْ،
عَبَثاً أُفَتِّشُ عن طَريقٍ يَزْدَرِي نَعْلَ المُشَاة،
لا شيءَ يُرشدني إلى كرامةٍ نُحِرَتْ
من الوَريدِ إلى الوَريدْ
حين تَنَاسَلَ العَدَمُ من نُطْفَةِ العَبَثِيَّة.

# ذَاكرةُ الحُروبِ

إلى اللّامَكان تَجرفني نَسمةُ مَساءٍ هَفِيْفَةْ
لتُعيدني إلى أَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ زَبَدا
وإلى كُرومِ الصَّيفِ عِنَبا
وحَوَاكِيْرِهِ تِيْناً ولَوْزَا
وخُدُودهِ كَرَزاً وعُنَّاباً قَطِيْفَا.

لا أُريدُ لتلك الذَّاكرةِ أن تَشِيْخَ
أو لشاطِئِ العُشَّاقِ أن يَهجرَ فيِ أَتُونِ الدَّمارِ وَلِيْفَا،
لا أُريدُ لتلك الشَّامَةِ أن تُغادرَ شَفَتي
ولا لرائحةِ الطَّيُّونِ أن تَهجرَ غاباتِ زَيتونٍ رَهِيْفَة،
لا أُريدُ لذاكَ الهُدْهُدِ أن يَذهبَ بَحثاً عن الماءِ فلا يَعودْ
أو أن يَعودَ بعَيْنَيْهِ قَذيفة.

# إنَّ النُّورَ آت

سأَكتبُ على شَفَةِ اللَّيلِ الكَفِيْفِ إنَّ النُّورَ آتْ
رغم أَنفِ العَتَمَةِ والظَّلامِ وكَتِيْمِ الصَّرخاتْ،
وسأُعلِّقُ عَناقيدَ الضَّوءِ على جَبِيْنِ الكآبةِ والحُزنِ
والمَوتِ الدَّاجي ونَزَقِ الاحتضاراتْ،
وسأَنْصِبُ بوِشاحِ اللَّيلِ الطَّويلِ مِشنقةَ الآهاتْ
وأَدُقُّ آخرَ مِسمارٍ في نَعْشِ الدُّموعِ
وأَفرشُ الوَردَ على نَوافيرِ السَّاحاتْ،
فامسَحي يا شآمُ دَمعكِ الغالي
وحَلِّي المَرارةَ بسُكَّرِ الضَحكاتْ
فأنتِ من عَلَّمَ الكَونَ أَبجديَّةَ الياسمينِ
وأنتِ قارُورةُ عِطرٍ لكلِّ الحَضاراتْ،
وأنتِ القَصيدةُ شِعراً ونَثراً
وأنتِ الأَميرةُ في كلِّ الحِكاياتْ.

# خَرجتُ أَملأُ الجِرارَ

في ضَيعتنا الصَّغيرة
يفتحُ الصَّيفُ شَهِيَّتي للُقياكَ
فتَراني في قَيْظِ الظَّهيرة
أَعْتَصِفُ الأَعذارْ
لأَتسلَّلَ بهُدوءٍ من ظِلِّيَ المَحْمُومْ
وأَملأَ من عَيْنِ ضَيعتنا الجِرارْ.

تَسكبُ الشَّمسُ لُجَيناً على لآلِئِ الماءْ
فأراكَ بانتظاريَ هناك على صَهْوةِ الأَحلامْ
تَصوغُ من اللُّجينِ عِقداً
تُعلِّقهُ على صَدرِ الضَّوءِ كيما يَطُولُ النَّهارْ.

أَيها الفارسُ النَّبيلُ لا تَتَرَجَّلْ!

عند ضِفافِ ضَيعتنا اسْرُجِ الخَيلَ ولا تَتَرَجَّلْ،
انتظرني أَمْتَطِ معكَ صَهوةَ أَحلامي
وأَغْتَرِفْ من ثَرثَرةِ عَيْنَيْكَ الصَّيْفِيَتَيْنِ أُنُوثَتي
وأَنْقَعْ بماءِ الوَردِ وسُكَّرِ اللَّوزِ كَثافَةَ الأَفكارْ
وأَنْتَشِ..
أَنْتَشِ كالطَّاووسِ على كَتِفِ الشَّمسِ البَعيدةِ
وأَعْتَصِرْ من وَجنتَيْها المُتَوهجتَيْنِ تُوَيْجَ الأَزهَارْ.

# غُرفةُ المَخاضِ

سِتُ بَناتٍ والنِّمْرُ غَضْبانْ،
أين الغُلامُ يا وَجْهَ النَّحْسِ
وزَوجةَ التَّاعِسِ الحَيْرانْ؟

سِتُ بَناتٍ والنِّمْرُ يُزمجِرْ،
يُهدِّدُ بيَمينٍ ويُغلِّظُ من بعدها الأَيمانْ
إن كان ما عِندها سابعةٌ
تَزيدهُ هَمّاً وتَشْحذُ في ظَهْرِهِ أَلسنةَ الجِيرانْ.

سِتُ بَناتٍ
لا تَعُودي بسابعة!
في غُرفةِ المَخاضِ تَتَلَوّى
لا تَعُودي بسابعة!

والطَّلْقُ أَقوى

ومَصيرُها يَحْسمهُ غُلامْ

إن جاءها زَارَتْها البَرَكَةُ كلُّها،

وإن أَرْسَلَ أُخْتَهُ

لا يَعلمُ بمَصيرها سوى الرَّحمنْ.

سِتُ بَناتٍ

يا أُمَّ البَناتِ تَصرَّفي

فحَمَاتُكِ الشَّمطاءُ تَنفثُ سُمَّها

وَدِيَارَةُ المَولُودِ حاكَتْهَا السُّنونْ

والأَزرقُ البَحْرِيُّ ينتظرُ الغُلامْ،

يا أُمَّ البَناتِ تَصرَّفي

والطَّلْقُ أَقوى

لا تَعُودي بسابعة!

الطَّلْقُ أقوى

اضغطي! اضغطي يا خانعة!

وصغيرتي هِنْدُ نامتْ بدون عَشائها،
وجُهَيْنَةُ تبكي،
وأُمَيْمَةُ تشتكي،
وصَفِيَّةُ حَيْرى،
وشَمْسُ ضائعة،
والطَّلْقُ أقوى
لا تَعُودي بسابعة!
الطَّلْقُ أقوى
لا تَعُودي بسابعة!

وسَمِيْرَةُ بِكْري وأَوَّلُ سُبْحتي
قَرأتْ هُمومِيَ واستدارتْ دَامِعة
الخَوفُ يَعلكُ في بِطانةِ جَوْفِها
فلربَّما بِنْتٌ في جَوْفِ أُمِّها قابِعة،
والطَّلْقُ أقوى
لا تَعُودي بسابعة!
الطَّلْقُ أقوى
اضغطي يا خانِعة!

يا أُمَّ البَناتِ تَصرَّفي
فالنِّمْرُ غَضبانْ،
والسِّلْفَةُ الحَسناءُ تُنجبُ بالنُّمورْ
نِمْراً فنِمْراً والشَّماتَةُ واقِعة.

يا أُمَّ البَناتِ تَصرَّفي
للنِّمْرِ أُختٌ تُوقدُ في نارِهِ،
ورِفاقُهُ يُسدونَ نُصحاً ناقِعا،
والأَزرقُ البَحْرِيُّ ينتظرُ الغُلامْ
والطَّلْقُ أقوى
لا تَعُودي بسابعة!
الطَّلْقُ أقوى
اضغطي يا خانِعة!

ويُطِلُّ رَأْسٌ باكياً مُتَغَضِّنا
يَصرخُ صُراخاً عاتِباً مُتَمَنِّعا،

هل جِئْتَ ترفعُ رَأْسَ أُمِّكَ عالياً،
أم جِئْتِ سَيفاً رَأْسَ أُمِّكِ قَاطِعة؟
ما بالكم!
ما بالكم ما عُدتُ أَسمعُ صَوتَكمْ
أو خُطوةً دَبُرَتْ وأخرى راجِعة؟
ما بالكم وسُؤاليَ المَطْحُونُ في ذُلِّ الرَّجاءْ
يَحبسْ دُموعاً تائهاً مُتَوَجِّعا.

يا مَيْمَتِي!
يا مَيْمَتِي المَكْسُورةَ الأَهْدَابِ مثلي
حضِّري من شَوكَةِ الصَبَّارِ نَعْشِي
قد أتَيْتُ بسابعة!!!

# هجرةُ الصَّيفِ في زَمَنِ الحُروبِ

عَقَدَ الصَّيفُ قِرانَهُ على حاكُورةِ ضَيْعَتِنا
عَاسَلَهَا وعَاسَلَتْهُ
ومَلأَتْ أَثيرَهُ طَيُّوناً ورَيحانا
وأَنجبتْ منه لَوزاً فجَوزاً فأَعناباً فرُمَّانا.

وأهداها عند كلِّ وِلادةٍ خُيوطَ شَمسٍ
تَحوكُ منها دِيَارَةَ المَولودِ أَشكالاً وأَلوانا:
الأَحمرُ الوَرديُّ خَدٌّ للكُرومْ
والأَخضرُ الزَّيتيُّ أَعشاباً وأَغصانا
والمِشْمِشُ الحَيْرَانُ طابَ قِطافُهُ
والنَّرجسُ البَرِّيُّ تِيْجَاناً وسِيْقَانا.

وحين دَقَّتْ طُبولُ الحَربِ قَارِعةً
وخَرْدَقَتْ بالدَّمعِ أَكباداً وأَوطانا
هَجَرَ الصَّيفُ حاكُورةَ ضَيعتِنا
وخَلَّفَ مَن خَلَّفَ أَحباباً وخُلَّانا.

شَجَرَتْهُ عنها الشَّوَاجِرُ جائِراتٍ
فالْتَحَفَتْ بصَقيعَ الشِّتاءِ أَهْوالاً وأَحزانا،
وعلى أَزيزِ الرَّصاصِ حَمَّصَتْ بالكَيِّ قَهوةَ المُرِّ
واسْتكْتَفَتْ ما فوق طاقتها أَحْمالاً وأوزانا.

# شَجرةُ السَّاكُورا اليابانيَّة

أَسْدَفَ اللَّيلُ وأَسْبَعَ الطَّريقُ
فاسْتَمْسَكَني الخَوفُ عَضُوضاً عَوِيًّا،
أَوْدَعْتُ حِضْنَ شَجرةِ السَّاكُوْرا
رَحيقَ أَحلاميَ الوَرديَّة
مِعْطَارَةً مِغْسَالَةً مِهْرَارَةً صَيفيَّة.

وهَمستُ في لحظةِ نَزفٍ عاطفيٍّ «أُحِبُّكَ»،
أُحِبُّكَ في كلِّ أَبجديَّاتِ الأَرضِ الوَهميَّة
فأَرْدَيْتُ زَهرةَ السَّاكُوْرا جَميلةً
بِرَشَّةِ عِطرٍ إضافيَّة،
وطَحَنْتُ نُجومَ السَّماءِ لُؤلُؤاً
بِرَشَّةِ شَرْقٍ إضافيَّة،
وحَبستُ في بُؤبُؤِ عَيْنَيْكَ

ضَفائرَ اللَّيلِ الطَّويلِ
على ذِمَّةِ القَضيَّة.

ورَحلتْ..
رَحلتُ بجُبْنِ نَعَامةٍ أُنثى أَسْتَطْلِعُ الطَّريقَ
حَليْقَةً على الصِّفْرِ رُوحيَ
وقَصيدتي وأَجنحتي والهُويَّة..
كم كُنتُ يوماً بأَحلاميَ حقيقيَّة!
كم كُنتَ يوماً بأَحلاميَ ثَرِيًّا!

وكَمَا زَهرةُ السَّاكُوْرا لم تُثمرْ أَحلاميَ يوماً،
كَمَا زَهرةُ السَّاكُوْرا تُهَرْهِرُ وتَفنى بسرعةٍ خُرافِيَّة
لكنَّها رغم أَنْفِ الفَناءِ تبقى
جميلةً، أَنيقةً، أَرستقراطِيَّةً، احتفائيَّة
كذا أَقولُ بأَحلاميَ أنا
وكذا تَقولُ بمَلِيْكَةِ الأَشجارِ أُسطُورتُها اليابانيَّة.

# أَنوارُ العيدِ

شَعْشَعَتْ أَنوارُ العِيْدِ
فلبستُ فُستانيَ زَيتيًّا كجَوْزِ الجِبالْ،
أَعطيتُهُ من طِلْقِ شَعريَ ظَهْرَهُ
واسْتَغْرَدْتُ القِرمزيَّ أَحمرَ شِفاهِ
وأَبديَّةَ اللَّيلِ كُحلاً وظِلالْ،
وجلستُ في العَراءِ أَخبزُ كَعْكَةَ الأَحلامِ عِيْدا
وأُعلِّقُ على عِيْدَانِ القِرفَةِ عِطريَ والآمالْ.

متى ستأتي؟
متى ستأتي حاملاً إلى صَدرِكَ باقةَ تُوليبِ
ليَكْتَمِلَ في عَيْنَيْكَ عِيدي
وتُدندنَ في مِعصمَيَّ أَساوري

وتَضحكَ في أُذُنَيَّ أَقراطي
وفي كاحلَيَّ يَتراقصُ الخَلْخَالْ؟

متى ستأتي
لتَشُقَّ الخُزامى صُدورَ الوِديانِ
ويُبَاغِتَ الرَّيحانُ فُسحةَ التَّمَنِّي
ويَسْتَفْرِدَ الياسمينُ بخُصُورِ التِّلالْ؟
متى ستأتي؟ متى متى ستأتي؟

زِدْنِي..
زِدْنِي بحُضورِكَ جَمالاً فوق جَمالٍ
وطُولاً فوق طُولٍ
وحُسْناً وفِتنةً وأَناقةً ودلالْ
ودعني أُغَرِّدْ إليكَ في كلِّ فُستانٍ أَلبسهُ،
دعني أَقْتَطِفْ من نَظرةِ عَيْنَيْكَ أُنوثتي
لأَتَفَتَّحَ في كلِّ الأَعيادِ
جُورِيَّةً بَيضاءَ في زَمَنِ العُنفِ والاقْتِتَالْ.

# فَاكهةُ الصَّيفِ

أَتيتني كفاكهةِ الصَّيفِ لم تُخلفِ المِيعادْ
مِن تِيْنِ الجِبالِ وكُرومِ الحَوَاكِيْرِ ومُخْمَلِ الدُّرَّاقْ
حتّى أَعلنتُ ماءَ الزَّهْرِ نَشيديَ الوطنيَّ
وخُدودَ المِشْمِشِ كَعْكَةَ الأَعيادْ،
ومَلأتُ جُيوبَ اللُّغةِ شَمَّاماً وعُنَّاباً ولَوزاً
وقَواريرَ الشِّعرِ رُمَّاناً وتُفَّاحاً وكَبَّادْ.

مِنْ صَفْوِ الأَبجديَّةِ
عَلَّمني الصَّيفُ كيف أُهَجِّئُ عَيْنَيْكَ
فاسْتَطَابَ كلامُ العِشقِ حُروفاً بازدياذْ،
عَلَّمني الصَّيفُ كيف أَطيرُ كفَراشةٍ أُنثى
في حُقولِ البُرقُوقِ أُدَنْدِنُ لَحني
ثمَّ أَعودُ إلى ذراعَيْكَ أَكْتَهِفُ الفُؤادْ

وأَنْقَعُ قافِيَتي في ظِلِّ جَفْنَيْكَ غابةَ تُرْكُوَازٍ
فيفْتَرِشُ الأَزرقُ قَواعِدَ النَّحْوِ
ويَكسرُ في جُمودِ اللُّغةِ الأَصفادْ.

أَتيتكَ بسَذاجةِ الوَرْقَاءِ
أَصطادُ في عَيْنَيْكَ صَيفاً وبَحرا
فحَطَّمَ المَوجُ صِنَّارتي واصْطادني الصَّيَّادْ،
أُحِبُّكَ..
أُحِبُّكَ هَمْسَاً لا أَرفعُ في حُبِّكَ صَوتي
كَفانِيَ اللهُ في زُرْقَةِ عُيونهم ضَغينةَ الحُسَّادْ.

# ابنةُ الانتظارِ

ابنةَ الانتظارْ!
أَعلنَ الصَّيفُ توقيتَهُ الجَديدْ
وما حَصدتِ من الكَرمةِ أَعناباً
وما عَصرتِ من أَعناقِها نَبيذاً
وما أَكلتِ من الشَّآمِ تُوْتاً
وماشَممتِ رائحَةَ الحَصِيدْ.

وسَكِرْتِ...
سَكِرْتِ على رُكْبَةِ الذَّاكرةِ تَترنَّحينْ
تَقطفينَ الضَّوءَ في أَقفاصِهِ تُرسلينْ
إلى غاباتِ الوَهْمِ البَعيدْ.

ها قد أَطالَ النَّهارُ ذُيولَ أَثْوابِهِ
ليُؤَخِّرَ ولادَةَ اللَّيلِ ساعةً
من ساعاتِ المَخاضِ العَسيرْ
ويَقطفَ من أَفواهِ الشَّمسِ صَمتاً
تَتبخترُ فوق شُرفاتِهِ دَقائِقُ سُتُّونْ
تَخطفُ عِطرَ النَّرجسِ وتَرحلْ
إلى تِلالِ الزَّيزفونةِ تَرحلْ
من دُونِ رَصيدْ.

ابْنَةَ الانتظارْ!
دَرَّاجَةُ الصَّيفِ هَوائيَّةٌ،
ومِروحَةُ الصَّيفِ هَوائيَّةٌ،
ومِزاجُ الصَّيفِ هَوائيٌّ،
وعُمْرٌ يَنقصُ وساعةٌ تَزيدْ.

لماذا في تلك اللَّحظةِ الرَّماديَّةِ وُلِدْتَ
بين عُمْرٍ يَنقصُ وساعةٍ تَزِيدْ؟
لماذا في تلك اللَّحظةِ الضَّبابيَّةِ صَرختَ
صَرخةَ المَوْلُودِ في غُرفةِ التَّوليدْ؟
أأَتيتَ تُعيدُ إلى البَسمةِ شِفاهاً
أو تُضرمُ النَّارَ في قَلْبِ الجَليدْ؟
أم إنّه الصَّيفُ يَبيعُ هَواءً
قبل أن يُعلنَ الشِّتاءُ تَوقيتَهُ الجَديدْ!

# عَقارِبُ الشِّتاءِ

أَضْرَمَتْ باريسُ صَقيعَها في أَقدامِ الشَّجرْ
فوقفتْ أَغصانُها عاريةً إلّا من حَنيني إليكَ،
ما زلتُ أَسْتَدْفِئُ من نارِ خَيمتِكَ ذَكْوَةً
وما زلتَ نُوريَ حيث تَضنُّ الشَّمسُ ويَتوارى القَمرْ.

يا سَيِّدَ الدِّفءِ قد وَرَّدْتَ أَحلامي
أَضْحكتَ فيها مِلءَ شِدقَيهِ المَطَرْ،
أَنْشَدْتَنِي حُلْوَ البُحورِ قَوافيَ
ونَثَرتَ وَرداً سالَ من كَعْبِ الوَتَرْ.

ما هَمَّني أَن أَصْرَدَتْ باريسُ أَحداقَ الوُرودْ
أو أَصْقَعَتْ في ثَلجِها المَكْنُوزِ أَلْبَابَ الحَجَرْ؟
ما هَمَّني أَن أَيْبَسَتْ في البَرْدِ آلافَ الجُرُودْ

أو عَلَّبَتْ بالمِعطفِ الصُّوفيِّ أَجسادَ البَشَرْ؟
إنّي بحُبِّكَ أُشعلُ نارَ الخُدُودْ
وأُلَوِّنُ بالأَحمرِ الصَّيفيِّ أَظْفَارَ الشَّجرْ.

# فِي ضِيافةِ الحُزنِ

أَسْدَفَ اللَّيلُ حزيناً فنامَ جَفْنُ التُّركُوازْ
في مَهاجِعِ البَحرِ الطَّاعِنَةِ بالصَّمتِ والأَبديَّة،
لا صَوتَ يَعلُو على صَمتي الحزينْ
هَديرٌ يَسْتَغْرِدُ إلى أَحداقِ المَوجِ عند المَساءْ
دَمعةً إضافيَّة.

هناكْ..
هناكَ حيث تَتَناطَحُ الأَمواجُ
وتَمتطي صَهْوَةَ المِلْحِ في عُصورِها الخُرافيَّة
يَزرعُ اللَّيلُ بُذُورَهُ في جُفونِ الصَّباحْ
ويَستيقظُ مُتثائباً على فِنجانِ قَهوةٍ صباحيَّة.

أَوْلَمَ الحُزنُ لي فجلستُ إلى مائدتهِ نَعْجَةً
أَحتسي بصُحبتِهِ جِعةَ الآلامِ المَنسيَّة،
ماانْفَكَّ يَبْقُرُ بالصَّدَأ أَحلامي
ويَلتهمها نَيِّئَةً على مَوائِدِهِ الهمجيَّة.

من شُقوقِ أَحزاني يَتَسَرَّبُ شَوقي إليكَ
فأُلَمْلِمُ من أجل عَيْنَيْكَ فُتاتيَ
عن مَوائِدِ الحُزنِ الذِّئابِيَّة
لتَعودَ إلى خُدودِ الفَجْرِ ضَحكةُ النَّدى
وإلى أَحضانِ البَحرِ أَمواجُهُ التُّركُوازِيَّة،
وأَمسحُ..
أَمسحُ عن عَيْنَيَّ وعَيْنَيْكَ كُرُوبَ الظَّلامْ
فتَسْتَفِيْقُ الشَّمسُ خَجلى من سُتُورِ عَتمتِنا الأَزَلِيَّة.

## الوَردُ يَتألَّمُ، إن كنتِ لا تَعلمين

هو ذَا عِيدُ الحُبِّ يَسْتَنْبِتُ رَأسَهُ
من عُنُقِ جُوريَّةٍ حَمراء،
ويَعصرُ من أَعنابِها نَبيذاً للشَّارِبِينْ
تَشَقَّقَتْ قُلوبُهم ظَمَأً لحُبٍّ
يُضَرِّجُ بالأَحمرِ أَيَّامَهم
ويُرْدِيْهُمْ عَاشِقِينْ.

في ضِيافةِ الأَحمرِ تُغَرِّدُ الأَحلامُ
على جِباهِ البَراري وفي قُلوبِ السَّاهِرِينْ،
فإلى أين أنتِ تُسافرينْ؟
وما أنا فاعلٌ بوشاحٍ وَرديٍّ وأَحمرِ شِفاهٍ
وعِطرٍ طَازَجٍ اعْتَصَرتُهُ لكِ
من ضَحكةِ العِيدِ وحُقولِ الياسمينْ؟

ما أَردتُ أن أُرِيكَ العِيدَ بدَمعةٍ حرّى
أَو أَخذلَ العُشَّاقَ في يومِ العاشِقِينْ
لكنّني حزينْ.. حزينٌ حزينْ.

حين يَلُمُّ العِيدُ وِشاحَهُ الأَحمرَ
عن حُقولِ الشَّمسِ تَستيقظينْ،
أَراكِ هناكَ بلَهفةٍ تَبحثينْ
عن جُوريَّةٍ حَدْباءَ افْتَرسها الانتظارُ
في مَزهريَّةِ الأَيامِ في رُكْنٍ دَفينْ
لَوَتْ عُنُقَها يَبَاساً فما عادتْ تَرى
غير قَدمَيكِ الطَّاغيتَينِ بهما تَسحقينْ
قَلبَ حامِلها الأَمينْ.

هناكْ..
على حُدودِ الوَردةِ تَنتهينْ،
من أَوراقِها المُتعَبةِ وساقِها المَحنيَّةِ تَجْدُلينْ
أُغنيةَ نايٍ أَرِقٍ حزينْ.

ما زلتُ أُحبُّكِ رغم كلِّ ما فعلتِ وتَفعلينْ
لكنّني لن أُسلِّمكِ رَقَبَةَ جُوريَّةٍ أُخرى
تَقطَعينَ حين تَشائينَ وتصلينْ،
فالوَردُ إن كُنتِ تَعلمينَ، ولربَّما لا تَعلمينْ
لا يَذرفُ الدَّمعَ ويَبكي
لكنّه يَزُفُّ آلامَهُ إلى المَوتِ بصمتٍ
فلا نَسمعُ لنُبْلِ أَوجاعِهِ أَنينْ.

# زَواجُ الوَهمِ بالحَقيقة

عَصَفْتُ أَوراقيَ في مَدينةِ الصَّمتِ إليكَ
تُغَنِّي دُموعيَ طَازَجةً كَدَنْدَنةٍ رَقيقة،
أَسمعُ وَقْعَ أَقدامِ الرِّياحِ تُبَعْثِرُ جُرحي
حيث تَخْتَمِرُ الأَوهامُ بأَنفاسِ الحَقيقة.

هب لي كطائرِ الفِينيقِ جَناحاً يَنْفُضُ حرقي
ويَرمي إلى أَلسنةِ النِّيرانِ أَثواباً عَتيقة،
ويَطيرُ من تحت الرَّمادِ بأَبهى حُلَّةٍ
ويُحرِّرُ من سِجنها المَدفُونِ أَرواحاً طَليقة.

ما كنتَ يَوماً حارِقِي أو جَارحِي
أو كنتَ يوماً مثل أَحلامي غَرِيقَا

لكنّكَ في حُبِّكَ المَقْطُوفِ من شَهْدِ الجِبال
أَدْمَنْتَنِي حُلْوَ الحياةِ فما عَرفتُ لمُرِّها تَصْدِيقا،
ها قد رَحلتَ وفي الحقائبِ شَهْدُكَ
أَمسيتَ جُرحاً قد تَجَلَّى في الحَقيقة.

# ما عادَ حُبِّيَ خافِيا

من خاصِرةِ اللَّيلِ أَقطفُ حَنيني إليكَ
طازجاً كتُفَّاحةِ صَيفٍ جَبليَّة،
في بُؤبُؤِ عَيْنَيْكَ أكونُ حيث تكونُ،
أَغِيبُ فيكَ فتَحضرُ بي
في كلِّ أُقحوانةٍ بَيضاءَ على كَتِفِ الطَّريق.

لا أَمْتَهِنُ حرفةَ الإطفاءِ
ولا أَحترمُ ماءَ الحريق
حين تُحاصِرني عيناكَ بنارِ الهَشِيمِ
تَصهرُ أَحزاني
فيَحلُو عَصيرُ العِنبِ المُكَدَّسِ في الخابِ العَتيق
ويُهَرهِرُ الجُوريُّ من أُنشُودةِ حُبِّيَ ماءَ وَردٍ
فتَسري في شَرايينيَ الخَضراءِ أَنهارُ العَقِيق.

مَن أَطلقَ من ثُكنةِ الأَحلامِ ذاك المَنْجَنيق
ليدهمَ قَيْلُولَةَ العُنَّابِ في سَفحِ الجِبال
ويُنْعِشَ ذاكرةَ المَرْجَانِ في البَحرِ العَميق؟

مَن أَطلقَ من ثُكنةِ الأَحلامِ ذاك المَنْجَنيق؟
مَن فَخَّخَ نَومِيَ بغَزْوٍ عاطفيٍّ
وأَضرمَ في قَلبي الحَريق؟
مَن أَيقظَ من قُمْقُمِ الأَيَّامِ ماردَهُ الغَلِيْق؟

أُحِبُّكَ!
أُحِبُّكَ! ماعُدتُ أَملكُ في حُبِّي زِماما،
ما عُدتُ أَملكُ في صَبري زِماما،
أَو أَسجنُ في عُلبةِ السَّردينِ عُصفُوري الطَّليق.

# سَمْفُونِيَّةُ الفَراشاتِ

على أَرصِفةِ المَوتِ أَبيعُ أَحلاميَ كالكُتُبِ العَتيقة،
وأَعيشُ نِصفَ مَوتٍ ونِصفَ صَمتٍ
كشَبَحٍ هارِبٍ تواً من نَعْشِ الحَقيقة.

عكّرَ اللَّيلُ أَوهامي
فاسْتَمْسَكَنِي حَنيني إليكَ وَئِيْدَا
يَغرِفُني إلى ذراعَيْكَ المَفتوحتَيْنِ وأَبوابي الغَلِيْقَة،
في حَضرةِ اللَّيلِ تَرتعدُ فَرائصُ أَشواقي إليكَ
فتَبقى عَيناكَ لعَيْنَيَّ أَيْكَةَ حَبَقٍ
وخَميلةَ نَعْنَاعٍ وزَعترٍ بَرِّيٍّ وحَديقة.

أُسافرُ إلى أَحضانِكَ أَتوَسَّدُ فيها عِطرَ البُرتُقالِ
فأعودُ إلى نَفْسي نِصفَ نَفْسي
أَكثرَ حُزناً وأَعمقَ صَمتاً وأَبْلَغَ حَرِيقا.

أُحِبُّكَ وسَفينتي في زَحمةِ الأَمواجِ جُنْحُ فَراشةٍ
تَجري الرِّياحُ وما كانتْ لعَيْنَيْها صَديقة،
قُبطانُها أنتَ فلا تُحاصرني بمِلْحِ
ودَعني..
دَعني على زَفِيْرِ المَوتِ
أُزَقْزِقْ في أُذُنَيْكَ حُبِّي
وأُكمِلْ على شَهيقِ اللَّيلِ رَقْصتيَ الأَنيقة.

# مالي بشمسٍ لا تُدفِّيني

ما زلتُ أَخجلُ من انتصاري عليكَ،
يا مَنْ عَلَّمتَني أنّ الحُروبْ
لاغَالِبَ فيها ولا مَغلُوبْ
وأنّ الدَّمارَ لا تَزْهُو بعَتَمَتِهِ شُمُوسُ انتصارِ
ولا تُزَيِّنُهُ سُيوفٌ مُدمَّاةٌ خَضُوبْ،
مازلتُ أَخجلُ من انتصاري عليكَ.

يا مَنْ عَلَّمتَني أنّ الحُبَّ نَوَاةٌ للقُلوبْ
وأنّ الشَّوقَ نَوَاةٌ للقُلوبْ
وأنّ الرَّايةَ البَيضاءَ عِزٌّ
يُسَطِّرُ الأَمجادَ مَجداً تِلْوَ مَجدٍ
على هَامةِ العُشَّاقِ غاراً
ورَيحانةً فَوْحَى بأَشواقٍ لَهُوبْ
ما زلتُ أَخجلُ من انتصاري عليكَ.

# عَودةُ الزَّمنِ الجَميل

تَتَسلَّقُ إليَّ على لَبْلابَةِ الزَّمنِ الجَميلْ،
أنا هنا في بُرجيَ العاجِيِّ أَحْتَرِفُ الغِيابْ،
أَنسجُ للبَردِ من دِفءِ ذِراعَيْكَ سُترتَهُ الصُّوفيَّة،
وقُبَّعةً ووِشاحاً،
وقُمصاناً بِيضاً،
وجَوارِبَ وسَراويلْ.

ما زلتَ تُزَقْزِقُ في حِضنِ لَبْلابَتي رغم أَزيزِ الرَّصاص،
وتَدقُّ أَبوابَ أَحلاميَ بعِطرِ المِشْمِشِ
وعَبيرِ التُّفاحِ وبُرقُوقِ الرَّحيلْ.

يَتقدَّمُ الزَّمنُ الدَّخيلْ..
أنا هنا في بُرجيَ العَاجِيِّ أَعتصمُ بالسَّحابْ،
أَختبِئ رَيحانةً عَبْرَى في هُدْبِ عَيْنَيْكَ الطَّويلْ.

يَتقدَّمُ الزَّمنُ الدَّخِيلْ..
ما زلتَ تُعَنْدِلُ في حِضنِ لَبْلابَتي رغم أَزيزِ الرَّصاصْ
وما زلتُ أُلَمِّعُ رِيشاتيَ البَيضاءَ
بزَيتِ أَحلامي وأَنْفاسِ القَنَاديلْ.

وأَنتظرْ..
أَنتظر، رغم أَزيزِ الرَّصاصِ،
في فِيْئِكَ المَنْسُوجِ من دُلْبِ الجِبالْ
ورائحةِ المَطرِ المُعطَّرِ
بشَهِيْقِ التُّرابِ وزَفِيرِ المَوَاويلْ،
أَنتظر في بُرجِنَا العاجِيِّ في حِضنِ السَّحابْ
عَودةَ الهُدْهُدِ في ضَحكةِ الزَّمنِ الجَميلْ.

# إنّني أهذي!

تَركني في حُبِّكَ قَضائيَ لأَقداري
أَعْصِفُ مثل رِياحِ الخَريفِ أَوراقَ دُلْبِي
حافِيَةً من كلِّ شيءٍ
إلّا من أَصْفَرِ أفكاري.

أيّها القادمُ من رَيحانةِ حُزني ورُطُوبَةِ صَمْتي
وصَدَأَ شَرايِيني وقَيْلُولَةِ أَزْرَارِي
ما تَركتُ عُنواناً بَريديّاً تُراسلُني عليه
حين يَعودُ الأَمسُ إلينا بشَعرِهِ المُستعارِ.

انتظرني حيث يَسْتَقْطِرُ الوَردُ أَجفانَ النَّدى
وحَذَارِ التّأخيرَ عن مَوعدِ لُقيانا حَذَارِ،
إنّني نازِفةٌ في كلِّ جُرحٍ دَمعةً
حَبَقاً ودِفْلى وطَيُّوناً وأَزهاري.

لا تَبتئسْ إنْ أنتَ أَعْيَتْكَ الدُّروبْ
وسَرَيتَ لَيلاً نامتْ عنه أَقماري،
اتبَعْ بأَنفِكَ كُلَّ عِطرٍ هائِمٍ
أَلْفَيْتَني نَعْنَاعَةً في زَيتِ عَطَّاري.

# مِن شَذا أَنفاسِكَ يَكْتَمِلُ الهَواءُ

ربّما تَهديني أَقداريَ إليكَ
نَسمةً تُبعثرُ أَشْعاريَ عليكَ
ذات يَومٍ رَبيعِيٍّ ضَحُوكٍ
من أيّامِ نَيسانَ الطَّرُوبْ.

مِن شَذا أَنفاسِكَ يَكْتَمِلُ الهَواءُ،
أَقْطُفُ إليه بعِطرٍ غَرِيبِ المَذَاقْ
يَلتهمُ الدُّرُوبْ
كالصَّعترِ البَرِّيِّ عند أَقدامِ الغُروبْ.

ما كُنتُ أَعلمُ أنّ للوَردةِ الجُوريَّةِ شَبَابِيْكَ وأَبوابْ
تُدَقُّ حين يجنُّ المَساءْ
فيَثورُ في جَفْنَيْكَ عِطرُ البُرتُقالْ
وفي خَدَّيَّ تُزهرُ أَحضانُ السُّهُوبْ.

أَسمعُ الصَّفيرَ يَمْتَصُّ قِطارَ الخَلاءْ،
أَقْتَطِفُ من مَقطُورةِ أَحلاميَ فَيْرُوزَ البِحارْ،
وُجْهَتِي أنتَ دُوْنَ كلِّ الدُّرُوبْ،
قِيثارَتي معي تَنْفِيْنِي إليكَ
لأُزَاوِلَ في أَلحانيَ أَرقَى نَكهاتِ الهُروبْ.

تَدخلُ الشَّمسُ جَوفِيَ في خُنَابِسِ الظَّلامْ،
وفي رَبيعِ عَيْنَيْكَ أَتَفَتَّحُ بَنفسجةً زَرقاءْ
فتَندملُ الجِراحُ وتَنْسَحِبُ النُّدُوبْ،
وأُحَرِّرُ نَفْسيَ من رِجسِ أَحزاني
وأَنفي عن زَهرِ البَنفسجِ الحَزينِ سِمَةَ الكُرُوبْ.

وأَغْرُبُ..
أَغْرُبُ عن أَلَمي حتّى أُدمنَ أَفْيُونَ الغُرُوبْ
ولكنّني أَعودْ،
لأُشْرِقَ كقَهوةِ الصَّباحِ من جَديدْ

فانتظرني عند ضِفافِ الحَقيقةِ كيما أَعُودْ
أَحملُ إليكَ لُؤلُؤاً وزَنبقاً بَرِّيّاً ونَعْنَاعاً ووُرودْ،
انتظرني عند ضِفافِ الحَقيقةِ سوف أَعُودْ
أَتَدَحْرَجُ حيث الرَّحيلُ فوق غَيماتٍ عَذُوبْ،
وأُمطِرْ..
أُمْطِرُ عليكَ أَوزاني وشِعري
عَوْسَجاً وطَيُّوناً وقَرَنْفُلاً ورُطُوبْ.

# امرأةُ الهَيْجاءِ

تَعلَّمتُ في حُبِّكَ كلَّ فُنونِ القِتالْ،
بِدائيَّةٌ أنا..
ما زلتُ أَحملُ على كَتِفَيَّ قَوسي ونُشَّابَتي
وأَصطادُ بسِهامِ حُبِّيَ قَطراتِ النَّدى ونُجومَ التِّلالْ.

بِدائيَّةٌ أنا..
أَتسلَّقُ بقَدَمَيَّ العاريتَيْنِ جِباهَ الجِبالْ،
وعند مَفْرِقِ شُكوكيَ أَسْتَلُّ أَنيابيَ كيما يُقالْ
ظَبيةٌ أَذابتْ في مَعاركِ الغَيْرَةِ كَعْبَيْها
بَحثاً عن غَزالْ.

بِدائيَّةٌ أنا..
وأَشُمُّ رائحةَ المرأةِ فيكَ
على بُعدِ آلافِ الأَميالْ،
وأَسْحَقُ بالمَنجنيقِ العَتيقِ
كلَّ من تُقاسِمُني عليكَ شَرعيَّةَ الاحتلالْ،
ولا أُجِيْدُ التَّفاوُضَ والتَّهادُنَ والتَّسامُحَ
ولا أُتقنُ في غَيرتي فُنونَ الاعتدالْ،
بأَبْيَضِ السِّلاحِ أَخوضُ مَعاركي
فلا يَغُرَّنَّكَ طِيْبُ مِسْكِيَ والدَّلالْ،
إنّني حين أَنْتَعِلُ الوَغَى
ويُفرضُ عليَّ خِيارُ الحَربِ والنِّزالْ
قِطَّةٌ تَسْتَنْمِرُ في الهَيْجَاءِ نَاباً
وعلى صَهْوَةِ الخَيلِ أُخْتٌ للرِّجالْ.

# كلُّ فالنتاين وأنتَ على العَرشِ

يا سَيِّدَ الماضي قد تَرَبَّعْتَ طَويلا
وما يزالُ حُبِّيَ طَازَجاً وحُزنيَ طَازَجاً،
وجُرحيَ ناعُوْراً ونِسيانُكَ مُستحيلا.

وما زلتُ أَسمعُ صَوتَكَ يُغَرِّدُ في أَلَمي
ويَذبحني في اليومِ آلافَ المرَّات
ويَرميني على حُدودِ الأَبَدِيَّةِ صَقيعاً
أَستجدي من رُطُوبَتِهِ قَبَساً
لأُنيرَ في عَتمةِ شَرايِيني القَنَاديلا.

وأَسْتَحْضِرُ من ذِكراكَ حَدائقَ وَرْدي،
ومن عَيْنَيْكَ أَزهارَ لَوزِي،
ومن شَفَتَيْكَ عِطْرُ البُرتُقالِ يَأتيني
قَميصاً مُنَدًّى على مَساحةِ هَجْرِكَ ودَمعي.

وفي بُخارِ أَحزانيَ أَنْقَعُ جُرحي
فتَنمو على ضِفَّتَيْهِ أَشجارُ لَيمونٍ
بفَجَاجَةِ بُعْدِكَ وحُمُوضَةِ جَوْفِي.

أنا..
أنا من سَلَخَتْ قُضبانُ سِجنكَ جِلْدي
وبَقيتُ أُحِبُّكَ رغم صَحرائي ويَأسي،
ونَقَمْتُ منكَ على أَبَدِيَّةِ حُبِّي
وهَجرتُ حِقداً أَوزاني وشِعري.

وأَتَيتكُ من بَعدِ حُبٍّ أَسْتَرِدُّ قُبلةً
نَسيتُ أَحْمَرَها جَمْرَاً على الخَدِّ
فرَأيتكَ ما زلتَ تَسْتَدْفِئ بها
وتُخَزِّنُ حَطَبَاً لصَقيعِكَ من بَعدي
«لا تُطفئيها!»
«لا تطفئيها!» صِحْتَ مَذْعُورَ الخَفُوقْ

وأَشَحْتَ خَدَّكَ كي تَحميها من غَضَبي

«مجنونةٌ أنتِ..

مجنونةٌ أنتِ لو ظَننتِ بأنّني

أَحْرَقتُ حُبَّكِ رَيّاناً إلى الأَبدِ!»

# ما عادَ يُفرحنِي المَطرُ

أَمطرتِ الغَيمةُ فحَضَرَتْنِي الدُّموعُ
وانْكَسرَ في شَهْدِ عَيْنَيَّ المَساءْ،
ما كان يُحزنني من قبل المَطرُ
ما كان يُحزنني البَقاءْ
وحيدةً خلف بُخارِ الشَّبابِيْكِ
أُنَقِّحُ من الأَخطاءِ صَدري
وأَنْتَشِي حُبّاً على صَوتِ السَّماءْ.

ما كان يُحزنني الغِيابْ
والشَّمسُ فوقي تَختبئ نِصفَ اختباءْ
خلف تَجاعِيدِ السَّحابِ ونَارَنْجِ الخُلُودْ
ثمّ تَعُودْ..
ثمّ تَعُودُ نِصفُها ذَهَبٌ عَتيقٌ

ونِصفُها الثَّاني وُعُودْ،
ما كان يُحزنني المَطرْ.

ما عاد يُفرحني الشِّتاءْ
وروائحُ اللَّيمونِ تَشْهَقُ من زَنَخِ الدِّماءْ
وأَحِبَّتي في البَرْدِ جَوعى
يَقتسمونَ العُريَ في خِيامِ الصَّقيعِ
ويَتناوبونَ على الرَّغِيْفِ وعلى الفِراشِ
وعلى الغِطاءِ وعلى الحِذاءْ،
ما عاد يُفرحني الشِّتاءْ.

من أين يَأتينا الغُرابْ؟
من أين يَأتينا الغُرابُ ساحِباً في ذَيْلِهِ شَرَّ البَلاءْ؟
من أين يَأتينا الغِيابْ؟
من أين يَأتينا الغِيابُ عَنَاكِبَ خِيطانُهَا مَغْزُولَةٌ
من عُفُونَةِ الجَهلِ ورُطُوبَةِ أَفْكَارِهِ الشَّوْهَاءْ؟

من أين يَأتينا العَذَابْ؟
لا أُريدُ لليَليَ أن يَسْوَدَّ كَذَيلِ الغُرابْ،
لا أُريدُ لرُوحيَ أن تَلْثَغَ في الزَّمنِ الغُرَابْ
بالسِّيْنِ والشِّيْنِ والصَّادِ والضَّادِ والزَّايِ والرَّاءْ.

أَيّها العَندليبُ الجَميلُ استيقظْ من سُباتِ الغِناءْ،
خُذني معك إلى سَمائي القَديمةِ وأَشجارِ لَوْزي
وشَرايينِ صَفصافيَ ونَبضِ الجُذُورِ في حِنَّاءِ التُّرابْ.

من ههنا مَرَّ المَوتُ ولم يَنتظرني،
لَيتهُ انتظرني..
لَيتهُ انتظرني وما أَشْعَلَ في ضُلوعيَ حُرْقَةَ الغِيابْ،
لَيتهُ انتظرني
وما شَوَّهَ في التَّاريخِ وَجهيَ الجَميلَ وسِيرتي الذَّاتِيَّة
وغَيَّرَ عَناوِينَ الأَحْبَابْ.

أنا الأَبجديَّة!

أنا الأَبجديَّةُ أيّها التَّاريخُ إن كنتَ تنسى

من عَلَّمكَ الكِتابةَ والقِراءةَ ونَقَشَكَ على وَجْهِ الشَّمسِ ضِياءً

ونَبَشَكَ من مَقابِرِ الرُّطوبةِ والعَتمةِ والجَهلِ والأُميَّة.

أنا الأَبجديَّةُ أيّها التَّاريخُ

فارحمْ من بَعدِ عِزِّيَ ذِلِّي

واغْضُضِ الطَّرْفَ عن عارِي وزَلِّي

ريثما أَرْتُقُ دَفاتِري وكُتُبي

وأُعَلِّقُ مِشْكَاتِيَ من جَديدٍ

نُوراً على جَبِيْنِ الانسانيَّة.

# أَساطيرُ اليُونان

كم أَحتاجُكِ وتحتاجينني
لنكتبَ في العِشقِ أُسطورةً إغريقيَّةً
بعُمرِ التِّينِ والغارِ والشَّمسِ والقَمَرْ!
أَيا امرأَةَ الغِيابِ ورائحةِ الوَجَعِ والاشتياقِ
ورُطوبةِ الغُربةِ وحقائبِ السَّفَرْ
ها قد مَضى دَهْرٌ آخَرُ من عُمري وعُمرِكِ
ويَباسِ التَّوَحُّدِ وتَردُّدِ الرَّماديِّ وأَشواكِ الضَّجَرْ
وأنا ما زلتُ أَنْقَعُ بالخَلِّ أَحلاميَ خلف قُضبانِ حُبٍّ
نِصفُهُ صَحْوٌ ونِصفُهُ الثَّاني مَطَرْ.

أُحبُّكِ وأَعلَمُ أنَّكِ تُحبِّينَ مِثلي
وأنَّ البُعْدَ ما جافَى فُؤادكِ يوماً وما كَسَرْ،
وأَشتاقُ إليكِ مثل حَسُّونٍ جَريحٍ

يَحملُ شَذْوَهُ إلى أَحضانِكِ أنتِ
ويَنْزفها زُمُرُّداً على أَغصانِ حَوْرِكِ من دُونِ الشَّجرْ.

أُحبُّكِ وأَعلَمُ أنّ السَّبيلَ إليكِ طَويلٌ،
وأنَّ الفَرَجَ بَعيدٌ بَعيدٌ،
وأنَّ طَريقَ الحَريرِ إليكِ مُعَبَّدٌ
باللَّوعةِ والانتظارِ وبالقَطْرانِ والحُفَرْ،
وأنا سَئمتُ ضَجيجَ الصَّمتِ في ضَبابِ المَنْفَى
فما صَبرَ عاشِقٌ من أَيّامِ جَميلٍ وقَيسٍ
مثلما قَلبي صَبَرْ.

## لَيلةٌ لَيلاءُ!

عكّرَ اللَّيلُ سَوَادَهُ فأَثْخَنَتْنِي الجِراحْ
وعَسْكَرَ في ثُكْنَةِ أَحلاميَ جُنْدُ الظَّلامْ،
حُشَاشَةٌ نازِعٍ ما بَقي منها
وماءٌ عُقَاقٌ في أَسفَلِ الكَأْسِ اسْتَراحْ.

أَوَ كلَّما عَسْعَسَ اللَّيلُ ازددتُ رَهبةً
وتَطاوَحَتْ في رَياحينِ خَوفي عُصُوفٌ رِياحْ؟
إن نِمتُ مَلأى جافَى عَينَيَّ الكَرى
وعلى الطَّوَى أَشْبَعَتْني كَوابيسُ وأَثْقَلَتْني قِراحْ.

أَنَّى اتجهتُ فظُلمةٌ في داخِلي
لا الشَّمسُ تَكبَحُ ظُلمتي في غُربتي
لا ولا نُورُ الصَّباحْ.

يا لَيلُ إنّي قد سَئمتُ الوَغَى
وخَلعتُ في ساحاتِهِ دِرعِي
وألقيتُ السِّلاحْ،
دَعني برَبِّكَ أَسترحْ في غُربتي
وأَخِطْ فيها كيفما شِئتُ الجِراحْ.

# يَداكَ أَوْكَتا وفُوكَ نَفَخَ!

أما فَهمتَ وقد كَتبتُ حُروفَها
حَرفاً فحَرفاً فوق أَوراقِ الخَريفْ!
تِشرينُ يَمضي رِيْحُهُ عَوَّاءَةٌ
ودُمُوعُهُ مَوَّاءَةٌ
والأَصفرُ المُحْمَرُّ يَقْتَرِفُ السُّقُوطْ
صَمتاً فمَوتاً تحت أَقدامِ الرَّصيفْ.

ووَقفتَ تَستعطي الجَوابْ..
لا تِينةٌ تَجلس بفِيءِ ظِلالِها
ولا كَرمةٌ تَحميكَ من عَصْفِ الرِّياحْ،
ووَقفتَ تَستعطي الإيابْ!

لا يا صديقي!
بالأَمسِ أَتاكَ الصَّيفُ يَرْفُلُ بالشُّمُوسْ
عِنَباً وتِيناً ورُمَّاناً وتُفَّاحْ
ما ذُقتَ طَعمَ الصَّيفِ يامُتَغطرساً
وما شَممتَ بأَنفِكَ المَجْدُوعِ عِطرَهُ الفَوَّاحْ.

وقَطعتَ سِيقانَ الشَّجرْ،
وحَرَقْتَها في لَحظةٍ مَسْعُورةٍ من بَرْدِكَ المَزْعُومْ،
وجَلستَ تَسْتَدْفِئْ حُرُوقي..
والآنَ يَأتيكَ الخَريفْ،
قد شُفِيتُ من حُرُوقي
ومَسحتُ بالصَّبرِ الجِراحْ،
الآنَ يَأتيكَ الخَريْف.

أَوَ جِئتني لتُعيدَ حَرقيَ كَرَّةً
أم جِئتَ من صُوفِيَ المَنْسُوجِ تَستعطي الوِشاحْ؟

لا يا صديقي!

قد كَسَرتُ النَّولَ إِثرَ سَذَاجةٍ

وحَرَقتُهُ في لَحظةٍ مَسْعُورةٍ من جُرحيَ الصَيَّاحْ

فأَذَقْتُكَ طَعمَ الحَريقْ،

وأَذَقْتُكَ لَونَ الخَريفْ،

وجَلستُ أَرْفُلُ بالشُّمُوسْ

عِنَباً وتِيناً ودُرَّاقاً وتُفَّاحْ.

## بحَقِّ السَّماءِ من أنتَ؟

من أيِّ لَيلٍ جِئتَ تَمْتَشِقُ القَمَرْ
وتَقُصُّ في حِضنِ الفَجرِ غُرَّةَ الشَّمسِ
وتَنثرها تِبراً على مَدِّ النَّظرْ؟

من أيِّ مَوجٍ جِئتَ تَخترقُ البُحورْ
وتُسافرُ في عُروقِ الماءِ فَيروزاً
ولآلِئَ مَغزولةً من دَمعِ المَطرْ؟

من أيِّ جُرحٍ أَتيتَ تَعْصِفُني
لأَخرجَ من ذَاكرةِ النَّارَنْجِ
بَعضيَ زَهرٌ وبَعضيَ ثَمَرٌ
وبَعضيَ أُغنيةٌ حَزينةٌ
تَعزفُ في أَنينِ اللَّيلِ صَمتَها من دُونِ وَتَرْ؟

## أين كنتَ هذا المَساء؟

ورَضيتُ أن تكونَ قَمَري
رغم بُعدِ المَسافاتْ،
وقَدَري..
قَدَري أن أَنظرَ إليكَ كلَّ مَساءْ
من نافذةِ غُرفتي،
أُلَوِّحُ بيَديَ لكَ وأُرسلُ لعَينيكَ القُبلاتْ،
لا أَعلمُ إن كُنتَ تَراني من وراء الغُيومِ،
أو تَسمعُ في صَدري الآهاتْ،
لكنّني أَراكْ
فأُحسُّ بأنَّ النُّورَ لن يُغادرَ مُقلتي
لأنّني أَراكْ،
وبأنَّ الحُبَّ لن يُغادرَ عُروقيَ
لأنّني أَراكْ،

وبأنّني أَعيشُ في أَمانٍ دَفِيءٍ
رغم كلِّ الصَّدماتْ
لأنّني أَراكْ.

وهذا المَساءُ عَتِيمٌ عَتِيمْ
انتظرتكَ فيه طَويلاً خلف نافذةِ غُرفتي
وما أَتيتَ إلى السَّماءْ،
فسَألتُ عنكَ نُجومَ اللَّيلِ وغَيماتِهِ وعَتَمَةَ شَعرِهِ
وقَناديلَ الشَّوارعِ وهَسْهَسَةَ الهَواءْ
فأَجبنني من سَوَادِ الصَّمتِ الطَّويلْ
إنَّه الخُسُوفْ..
خُسُوفُ القَمرِ أيتها العاشِقةُ الحَمقاءْ!

# النَّجمُ الضَّحُوكُ

نَاديتُ اسمكَ هَرْهَرَ عِطرُ الوُرودْ
في ذلك الكَونِ المُعَتَّقِ بالضَّجَرْ،
وتَناثرَ المِسْكُ المُضَرَّجُ بالرُّعُودْ
من دَهشةِ الغَيمِ المُحَمَّلِ بالمَطرْ.

هو ذا الرَّبيعُ يُسافرُ في مُهْجَتي
رَيحانةً، نَعْنَاعَةً، جُوريَّةً حَمراءْ،
طَيُّونَةً خَضراءَ تَدْلِفُ من قَلبِ الحَجَرْ.

ما للبَراري تَراقَصَ صَفْصَافُها
وتَغَازَلَ حَوْرٌ على عَزفِ الوَتَرْ،
والبَحرُ يَسكبُ في عُيونِها زُرْقَةً
والشَّمسُ تُوقِدُ نُورَها فوق الشَّجرْ!

نادِيتُ اسمكَ زَغْرَدَ النَّجمُ الضَّحُوكْ
فتَدحرجَ عِطراً على خَدِّ القَمرْ،
ما دَحْرَجَكْ يانَجمُ يازَيْتَ الوُعُودْ
يا ماسَةَ اللَّيلِ على مَدِّ النَّظَرْ؟
«إنّي سَمعتُ» قالها النَّجمُ الوَدُودْ
«حُوريَّةً تَغزلُ حُروفَها من مَطَرْ».

# في باريس، ذات مَطَرْ

مُنذ قَمَرٍ بَعيدٍ
واللَّيلُ يَلهو مع النُّجومْ
في سَماءِ تلك المَدينةِ المُتَرَامِيَةِ الأَنْوَارْ.

كانت دُموعُ الغُيومِ تَنهمرُ من عُيونِ السَّماءْ،
ورَائحةُ الخُبْزِ الفَرنسيِّ تحتها تَركُضُ،
وأَفكاريَ بينهما تَركُضُ،
والنَّاسُ حوليَ كالأَرانبِ تَركُضُ،
وأنا أَلْتَحِفُ تحت المَطَرِ بذكراكَ
ثابتةً لا أَركُضُ.

مِظلَّتي أنتَ ما كنتَ معي
فاسْتَبَاحَ شَعريَ دَمعُ المَطَرْ،

مِظلَّتي أنتَ ما كنتَ معي
فاسْتَبَاحَ عِطرِيَ زَنَخُ المَطَرْ.

ما كانتِ الغَيمةُ وَحْدَها تَبكي
العُشْبُ والزَّهرُ وسِيقانُ الشَّجرْ،
وقَصيدةٌ حَيْرَى تَدَحْرَجَ حِبْرُها
ظُلْمةً سَيْلَى على مَدِّ النَّظَرْ.

قد كان ذَنْبي أن نَسيتُ مِظلَّتي..
في اللَّيلةِ اللَّيلاءِ يَنتقمُ المَطَرْ.

# كُن أَصيلا

وطَفِقْتُ أَبحثُ عنكَ في أَرجاءِ المَعمورةِ والمَهدومةِ
فما وَجدتُ إليكَ سَبيلا،
وطَرقتُ أَبوابَ السِّندِ والهِندِ
وقِممِ الجِبالِ والتِّلالِ خَيَّمتُ فيها
فما وَجدتُ إليكَ دَليلا.

ومَشيتُ طَريقَ الحَريرِ حافيةَ القَدمينِ
عَلِّي أُصادفكَ تَشتري لي قَواريرَ مِسْكٍ
وكُحلاً عَربيَّاً ومِشطاً عاجيَّاً وعُقُوداً وحَريرا
فما وَصلني منكَ دِيْبَاجٌ مُوَشَّى
وما تَلقَّيتُ منكَ الخَلاخِيلا.

وتَرَصَّدتُ الحَمامَ يَزْجُلُ طَلاسِمَ سِرِّي
وانتظرتهُ في وَحْشِيَّةِ العَرَاءَ بُكرةً وأَصيلا
فما أتاني منكَ جَوابٌ يَتيْمٌ
وما أَرسلتَ لتُخمدَ نِيراني المَراسيلا.

وقَصدتُ أُمَّ العَرَّافِيْنَ أَشكو حَيرتي
فما أَفلحَ في عَوْنِها جِنٌّ ولا مُخَاواةٌ
ولا نَفعتْها نَارٌ سَعُورٌ تَنفخُ فيها زَفِيراً فعَوِيلا.

ونَصحني أَولادُ الحَلالِ بالصِّينِ أشفى
وفي رِياضاتِ الهِندِ أُحقِّقُ المُستحيلا
فما كان طِبُّ الصِّينِ لدَائِيَ شافِياً
وما قَدَّمتْ بلادُ الهِندِ طِبّاً بَديلا.

واستسلمتْ...
استسلمتُ للمَوتِ يَحضن فُؤادي

ويَطوي برِفقٍ جَسدي النَّحيلا،
استسلمتُ للمَوتِ صُعُودَ سَماءٍ
ماعُدتُ أُطيقُ في الحَياةِ فِراقاً طَويلا.

وطَفِقْتُ أُفتِّشُ عنكَ في السَّماءْ
بين الأَبرارِ والقِدِّيسِينَ والصِّدِّيقِينَ،
وسأَلتُ الملائكةَ عنكَ،
وسأَلتُ القَمرَ والشَّمسَ ونُجومَ المَساءْ
فما اهْتَدَيتُ إليكَ سَبيلا.

وجَلستُ مُنهَكَةً على رُكْبَةِ الشَّمسِ أُتَمْتِمُ الصَّلاةَ
وأُرَدِّدُ الدُّعاءَ وأُرَتِّلُ في عِظامِ صَدري التَّراتِيلا،
ونَظرتُ إلى أَزرقِ البَحرِ تحتي
تُداعبُ بُرتُقالةُ الشَّمسِ فيه مَوجاً جَميلا
فلَمحتُ طَيفَكَ عند الشَّاطئ يَهيمُ بَحثاً عني،
عن لُؤلُؤةٍ ضاعتْ منهُ يوماً
وما بَدَّلَ في حُبِّهِ تَبديلا.

ناديتُ اسمكَ...
ناديتُ اسمكَ حتّى انخلعتْ حَنجرتي
من جُذورِ الغَيمةِ تحتي
فما التفَتَّ إلى صوتٍ لَهُوْثٍ
وما سَمعتَ قَلباً عَليلا.

ما للمسافاتْ!!
ما للمسافاتِ تُقَرِّبُ في الحياةِ كلَّ بَعيدٍ
وتُباعدُ بيني وبينكَ عَوَامِيدَ وشَوَاقِيلا؟؟
لا تَذرفِ الدَّمعةَ!
لا تَذرفِ الدَّمعةَ فعَيْنُكَ ما خُلقَتْ لتَبكي
واتركِ اللَّوعةَ إليَّ جُمْلَةً وتَفصِيلا
والله..
واللهِ إنّي ما أَردتُكَ باكِياً
وما طَلبتُ إليكَ تشييدَ التَّماثيلا،
لكنّني ما بَخِلتُ عليكَ برُوحي ودَمي
وكلُّ ما أَرجوهُ منكَ أن تَبقى أَصِيلا.

# حُبٌّ قَيدُ الاختبار

وخَفقاتُ قَلبكَ تَرعُدُ في أُذُنَيَّ طُبولاً إفريقيَّة،
أَسمعُ جَيِّداً، من قال لكَ إنّني صَمَّاءُ
وإنّني في الحُبِّ امرأةٌ حَديديَّة؟

من قال لكَ إنّني مَنجنيقٌ عَتيقٌ،
وإنّني ساطُورُ جَزَّارٍ،
وإنّني أُتقنُ فَنَّ الحُروبِ الهَمجيَّة؟

من قال لكَ إنّي أُخَلِّلُ في فُؤاديَ مِلْحَ البِحارْ،
وأَطهو في عُروقيَ رِمالَ الصَّحراءْ،
وأَختزنُ في أَوردتي نَسائِمَ المُتَجَمِّدِ الشَّماليَّة؟

من قال لكَ إنّني لا أَفهمُ ما تَعنيهِ في عِيدِ الحُبِّ

زُهورٌ حَمراءْ

وبِطاقةٌ مُعايَدَةٍ مُزَركشةٌ وَرديَّة؟؟

إنّني ياسَيِّدي،

واعذرني إنْ فاجَأْتُكَ باعترافي،

امرأةٌ عاديَّةٌ، عاديَّةٌ، عاديَّةٌ، عاديَّة

لكنّني قَضيتُ في التَّدريسِ نِصفَ عُمري

وأَعرفُ جَيِّداً كيف أَمنحُ العَلامَةَ،

وكيف أَحْجُبُ العَلامَةَ،

وكيف أُصَمِّمُ أَسئلةَ الاختباراتِ المُؤَتْمَتَةِ والتَّقليديَّة.

# لا تَدَعني أغادر

كم رَبيعاً سوف تُعطيني السَّماءْ
لأَكتبَ القَصائدَ في زُمُرُّدِ عَيْنَيْكَ
من لَوْزِ الغُوطَةِ وحَوْرِ الهَامَةِ
وصَنَوبرِ كَسَبَ وبُرقُوقِ ضَيعتِنا الجَبليَّة؟

كم رَبيعاً سوف تَمنحني السَّماءْ
لأَزرعَ أَشْدَاقَ المُتَوَسِّطِ بضَحكةِ اللُوتُسِ البَيضا
وعِطرِ اللَّيمونِ وأعناقِ القَرنفُلِ المُخمليَّة؟

بكم رَبيعٍ سوف تُكرمني السَّماءْ
لأَسْتَقْطِرَ من حُزنِ البَنفسجِ زَيتاً
أُضيءُ به أَحداقَ المَساءْ
وقَناديلَ الشَّوارعِ النُّحاسيَّة؟

وعندما تَهطلُ دُموعُ نَيسانْ
وتَمْحُو اسماً حَفَرْتُهُ بحُبِّي على قِرميدِ الجِبالِ
وتَجاعيدِ النَّعناعِ وجُذورِ البَابُونجِ البَرِّيَّة
أَعلمُ أنّني سُنُونَوَةٌ في حِضنِ الفَراغِ
حافِيةٌ من أَحلامي ومن أَقواسِ قُزَحِي الوَرديَّة
فأَحْزِمُ جَنَاحَيَّ وأَقتحمُ الغِيابْ
وأَتَدَحْرَجُ خلف بُرتُقالةِ الغُروبِ الأَبَدِيَّة.

ما أَتْعَسَكَ ياحَبيبيَ حين أَرحلْ
فمعي يُهاجِرُ ضَوءُ النَّهارْ،
ورَبيعُ آذارْ،
وتَدَفُّقُ دَورتِكَ الدَّمويَّة.

# حَدائقيٌّ يَعرضُ خَدماتِه

حَدائقيٌّ أنا..
أَفْتَرِشُ عند المَغيبِ أوراقَ الدُّلْبِ،
ووِسادتي آسٌ،
وغِطائيَ من مُخْمَلِ الدُّرَّاقِ أنسجُ خَيطَهُ
وَطَنَاً أَنامُ على ذِراعكِ غُربةً
دون اكْتِفاءْ.

حَدائقيٌّ أنا..
أَستحمُّ بعِطرِكِ كلَّ مَساءْ
من قارُورةِ ماءِ الزَّهرِ
عَتَّقَتْها أُمِّيَ في خابِيَة
وتَركَتْها تَنضجُ في عَيْنَيْكِ أُنثى
تَمْتَشِقُ رُوحيَ كنَبيذٍ كَرَزِيٍّ

فتَفكُّ أَزرارَ شَرايِيني اليابِسَة
دون ارْتِواءْ.

حَدائقيٌّ أنا..
وأَعرفُ الفَرْقَ بين رِقَّةِ النَّرجسِ
ووَحشيَّةِ القُرَّاصِ،
وعُقمِ البادِية،
وبَرِّيَّةِ الهِنْدِبَاءْ.

حَدائقيٌّ أنا..
وبَعضيَ عِطرٌ أَشُمُّهُ فيكِ،
وبَعضيَ حَبَقٌ أُحِبُّهُ فيكِ،
وأَبحثُ عنهُ وأَبحثُ عنكِ،
وأَحلمُ أنّي قَطَفْتُكِ يوماً،
وأَحلمُ أنّي زَرعتكِ يوماً
مِسْكاً تَلَوَّى بعِطرِ المَساءْ.

حَدائقيٌّ أنا..

فدَعيني أُمطِرْ شَعركِ الحِبريَّ فُلّاً،

ودَعيني أمسحْ جَبينَكِ بزَهرِ البُرتُقالْ،

ودَعيني أَحتضنْ عَيْنَيْكِ في جَوْفِ يَدَيَّ

ولا تَتَبَرَّمِي من كَفَّيَّ المُتشقِّقَتَيْنِ عَطَشَا

ولا تَعتبي -سَيِّدتي- عليهما وعليَّ

قد مَزَّقَتْهُما أَشواكُ الوُرودِ مِراراً مِرارا

قبل أن تَصِلِي إليَّ.

حَدائقيٌّ أنا

وأَعرفُ كيف أُداوي جِراحَ الزُّهورِ،

وكيف أَستخرجُ من أزرارِ الياسمينِ

زُيوتاً وعُطوراً وتِيْجاناً وعُقوداً لُؤلُؤيَّة.

حَدائقيٌّ أنا..

فدَعيني أَقطفْ رَقَائِقَ نُورٍ ،

من خُدُودِ الياسمينةِ الدِّمَشْقِيَّة،
ودَعيني أستخرجْ قَصَبَ السُّكَّرِ
من شِفاهِ عَرِيْشَةِ العَسَلِيَّة،
ودَعيني...
دَعيني أُعَشِّبْ قَلبَكِ المُتْعَبَ
من فَوضَى الكآبةِ وغَزَوَاتِ الصَّمتِ البَربريَّة.

لا تَنفري منّي...
لا تَنفري منّي كغَزالةٍ وَجْلَى
طَحَنَتْ فُؤادَها قَسوةُ البَرِّيَّة،
ضَعي رَأسَكِ المُرْتَجِفَ على حَدائِقِ صَدري
ودَعيني أَمْسَحْ بماءِ الوَردِ دَمعتي ودَمعتَكِ السَّخيَّة،
واعبقي..
اعبقي تحت مَساماتِ جِلْدِي زَهرةَ لَيمونٍ،
ونامي في حِضنيَ المَفْرُوشِ حَقلَ بَنفسجٍ
واتركي.. اتركي الأَرَقَ إليَّ.

# جارٌ غيرُ مُرحَّبٍ بإعجابِهِ

قد أَرْبَكتَ أُنوثتي بتلك النَّظراتْ
والشَّمسُ فوقي تَفرشُ الجَمراتْ
وأنا..
أَتَصَبَّبُ عَرقاً وخَجلاً
تحت عَيْنَيْكَ المُقْتَحِمَتَيْنِ
حَيْرَى أُتمتمُ الصَّلواتْ.

أَوَ كُلَّما تَحاشَيتُ عَيْنَيْكَ ازددتَ جُرأةً
وطاردتني أَحداقُكَ بذاتِ الشَّهقاتْ؟

أَوَ كُلَّما تَعثَّرتْ قَدمايَ ارتباكاً
انتهزتها فُرصَةً لتُقدِّمَ الخَدماتْ؟

أَوَ كُلَّما قَرأْتُ على شُرفتي كِتاباً
اسْتَحْلَيْتَ القَهوةَ على الشُّرفاتْ؟

أَوَ كُلَّما تَمَشَّيتُ في يومٍ مَطِيرٍ
اعتمرتَ القُبَّعةَ لتَجُوبَ الطُّرقاتْ؟

يا سَيِّدَ النَّظراتْ!
يا سَيِّدَ النَّظراتْ!
أَوَتَعرفُ دَلَّالاً أَبيعُهُ داري
فأكونُ للُطْفِكَ مِنَ الشَّاكِراتْ؟

## مالَكَ من إياب

لا تُحاولْ! ما لَكَ من إيابْ
إلى القَلبِ الذي أَتْخَمَتْهُ شَوكَ العَذابْ،
لا تَطرقِ الأَبوابَ عَلِّي أَرْتَمي
في حِضنكَ والقَيدُ يُدمي مِعصمي
لن أفتحَ الأَبوابْ.

قد ماتَ حُبُّكَ -سَيِّدي- في خَافقي،
غَسَّلتُهُ، كَفَّنتُهُ، وحَفَرتُ قَبرَهُ في التُّرابْ،
وجَلستُ أَبكي حُرْقَةً بغِيابِهِ
دَمعاً حَرُوْرَاً يُلْهِبُ الأَهدابْ،
ونَظمتُ فيه مَرَاثيَ أوزانُها
إِيقاعُ نايٍ يَحرقُ الأَلبابْ.

والنَّاسُ تَعرفُ في المُحَيَّا مَبْسمي
والنَّارُ في جَوفي مَسْعُورةُ الأَنيابْ،
إنّي حَزنتُ على الفَقيدِ كِفايَتي
والآن ارحمني من أَسْوَدِ الأثوابْ.

لا تُحاولْ! ما لَكَ من إيابْ
إلى القَلبِ الذي اسْتَوْصَيْتَهُ عَجَبَ العُجابْ،
لن أَفتحَ الأَبوابَ أُقسمُ إنّنِي
لن أَفتحَ الأَبوابْ.

# ولكنّني تَغيَّرتُ

كم كنتُ مُشتاقةً إلى نَفْسيَ في نَظرةِ عَينَيكْ
مُسْتَسْلِمَتَيْنِ لحُبِّيَ كشُجيرةِ فُلٍّ لنَسائمِ أيَّارْ.

كم كنتُ مُشتاقةً إلى نَفْسيَ في أَنْفاسِ رِئتَيكْ
مُتلاحِقاتٍ حوليَ كضَرباتِ إِعصارْ.

كم كنتُ مُشتاقةً إلى شَوقٍ يَبْتَلِعُني إليكْ،
ومَجهولٍ يَحملني إليكْ،
وغَدٍ يَغْرِفُني إلى ساعدَيكْ
مُعطَّرةً بِمُسْتَقطَرٍ من كلِّ الأَزهارْ.

كم كنتُ مُشتاقةً لأَنامَ بين جَفْنَيكْ
سَمكةً بَحريَّةً أَنْهكها التَّيَّارْ.

كم كنتُ مُشتاقةً لأَنْدَسَّ في كَفَّيكْ
عُصفورةً تِشرينيَّةً بَلَّلتها الأَمطارْ.

كم كنتُ مُشتاقةً لأن أكونَ قَمراً خُرافيّاً
يَتَفَوَّقُ في غاباتِ الصَّمْتِ والحَبَقِ
والعِطْرَةِ والطَّيُّونِ والنَّعْنَاعِ
على كلِّ الأَزهارْ.

ولكنّني تَغَيَّرتُ..
في عُيونِ اللَّيلِ الطَّويلِ أَسْتَجْمِعُ الجِراحَ
لأَكتبَ قَصيدةً وَحْشِيَّةَ الأَفكارْ
تَقْطَعُ أَعْناقَ الشَّوقِ والحَنينِ
والخَوفِ والبَرْدِ والرُّطوبةِ والعَتمةِ
وقَرْقَعَةِ الأَنينِ في بُؤبؤِ الانكسارْ.

# لَوحةُ فَنَّانٍ

فَنَّانْ..
فَنَّانٌ يَفْتَرِشُ شِفاهَ اللَّوحةِ بزَهرةِ بَيْلَسانْ
يُسَوِّرُ فيها سِياجَ الحُدودْ،
وفيها يَتحدَّى كلَّ الزَّنْبَقِيَّاتِ والقَرَنْفُلِيَّاتِ والبَنَفْسَجِيَّاتِ
وجُورِيَّاتِ السَّاحاتِ وأَعْنَاقِ الوُرودْ.

وتَضحكْ..
تَضحكُ نَوافيرُ مَاءٍ من لُؤْلُؤٍ ومَرجانْ،
تَضحكُ جُزُرٌ خُرافيَّةُ الضَّفائرِ والمَبَاسِمِ والخُدودْ،
تَضحكُ طُيوفٌ من كلِّ الأَلوانْ
على شَفَةٍ لَمياءَ ما لها من وُجودْ.

وتَرقصْ..
تَرقصُ عَرائشُ عِنبٍ بَرّيٍّ على سِيْقَانِ حَوْرٍ،
وتَنضجُ العَناقيدُ السَّوداءُ عُنقوداً يَلحقهُ عُنقودْ،
وأنا.. مثل الفَراشةِ أَطيرُ نُوراً وفَرحاً وكَرَزاً ولَوْزاً
فوق جَبِيْنِ اللَّوحةِ المَشْدُودْ.

وحين يَحينُ مَوسمُ قِطافِ الوُعُودْ
يُقسمُ الفَنَّانْ..
يُقسمُ الفَنَّانُ ويُغلِّظُ الأَيمانْ
ببَراعةٍ واحترافٍ وتَجاهُلٍ وبُرُودْ
أنّه ما تَعَاطَى الرِّيشةَ يوماً،
وما غازَلَ الفَراشةَ يوماً،
وما اقْتَطَفَ من خُدودِ الرُمَّانِ يوماً
قِرْمِزَ الغُروبِ وعُنَّابَ الشُّروقِ
ودِبْساً وعَصيراً وسُكَّراً مَعْقُودْ.

وَيَعْجَبْ..

يَعْجَبُ من أين آتِيهِ بكلِّ هذي الرِّواياتِ،

وكلِّ هذي الحِكاياتِ،

وكلِّ هذي الافتراءاتِ،

وكلِّ هذي القُيودْ.

# شُكراً لأنّكَ استَعمَرتَ القَصيدةَ

شُكراً لعَينَيْكَ القابِعَتَيْنِ في قَصيدتي دونما استئذانْ
تَذرفانِ بين الفَواصلِ أقماراً ونُجوماً
من وُرودٍ ونَعْنَاعٍ وطَيُّونٍ وعِطْرَةٍ ورَيحانْ
فوق القَوافي المَكْسُورةِ شَوقاً إليكَ دونما استئذانْ.

شُكراً لغاباتِ الصَّنوبرِ تَزرعُها في عَتماتِ قَصيدتي
دونما استئذانْ،
تَهطِلُ بين أَروِقةِ الأَبياتِ شُمُوعاً
من مَطرٍ وبلاغةٍ وفَصاحةٍ وبَدِيعٍ وبَيانْ
فوق بُحورِ الشِّعرِ تَفيضُ شَواطئُها حَناناً إليكَ
دونما استئذانْ.

شُكراً لقَصيدةٍ تَستَحضِركَ إليَّ دونما استئذانْ
فَراشةً تَقْتَبِسُ من كلِّ اللُّغاتِ أساوِرَ
صاغها الصّيَّاغُ من لُؤلُؤِ الأَبجديَّاتِ
وعَقِيقِها ويَاقُوتِها وزُمرُّدِها والمَرْجانْ
دونما استئذانْ.

أَيا زَهرةَ لَيمونٍ تَلْهَثُ عِطراً في عُرُوقِ القَصيدةِ
بين خَيالٍ ويَقِينٍ وحَقيقةٍ ووَهمٍ وهَذَيانْ
لتَرشَّ شَبَابِيكَ القَصيدةِ بماءِ الزَّهرِ
المُعَتَّقِ بأنفاسِ الرَّبيعِ دونما استئذانْ.

أَيا صَفصافةً تَحملُ إلى رِئةِ القَصيدةِ عَصافيرَ
تَنْسجُ أعشاشَها غُصناً فغُصناً
تحت شَمسِ البُرتُقالِ دونما استئذانْ.
أَيا مُستَعمِرَ صَوتي وإِيقاعِ نَبضي ودَقَّاتِ قَلبيَ

ورُفُوفِ مَكتبتي وكَلماتيَ والمُفرداتِ دونما استئذانْ
شُكراً لأنّكَ استعمرتَ القَصيدةَ وقَلبَها وعَينَها
ورُوحَها ووَريدَها والشّريانْ
دونما استئذانْ.

# قَهوةُ الصَّباحِ

لم يَرسمِ البُنُّ وَجهَكَ في فِنجانيَ هذا الصَّباحْ
لأَبْنِيَ عليهِ آلافَ الأَحلامْ،
وأُشَيِّدَ في الهَواءِ آلافَ القُصورِ،
وفي العَراءِ آلافَ القِلاعِ وآلافَ الأَوهامْ.

لم يَرسمِ البُنُّ وَجهَكَ في فِنجانيَ هذا الصَّباحْ
لأَمطُرَ المُتوسِّطَ ببُحورِ الفُلِّ،
وأَزرعَ السَّماءَ الزَّرقاءَ حَبَقاً ونَرْجِساً ورَيحانْ،
وأُكَحِّلَ عَينَ القَمرِ بثُمالَةِ قَهوتي،
وأَصبغَ شِفاهَ الشَّمسِ بأَحمرِ الرُّمَّانْ..
لم يَرسمِ البُنُّ وَجهَكَ في فِنجانيَ هذا الصَّباحْ.

يا حَبيباً أَنْجَبَتهُ في زَمنِ العُقْمِ امرأةٌ خُرافيَّة،
وحَمَّلَتْهُ في زَمنِ الوَهمِ أحلامَها الوَرديَّةْ،
فتَبَعْثَرَ خَرَابِيشَ من البُنِّ المَحْرُوقِ
في فِنجانِ قَهوتها الصَّباحيَّة.

يا حَبيباً نَقَشَتْهُ في زَمنِ التَّصَحُّرِ حَبيبةٌ غابيَّة،
وأَوْدَعَتْهُ حِصاناً أَبْيَضَ في عُصورِ العَبَثِيَّة
فما كان في زَمنِ التَّنَكِ فارساً فَذّاً
وماتَحَلَّتْ رُوحُهُ بأَخلاقِ الفُروسيَّة،
قد شَنَقَ على دِيوانِ المُلَوَّحِ نَخْلَةً
ورَجَا تُمُوراً من شِفاهِ العامِرِيَّة..

لم يَرسمِ البُنُّ وَجهَكَ في فِنجانيَ هذا الصَّباحْ.

# في جِبالِ القَلْبِ أَضَعْتُ أَلْبي

في رُبوعِ الأَلْبِ أَلْتَحِفُ الغُيومْ
مَغْزُولَةٌ بالنَّولِ آلافُ الشَّجرْ:
الأَخضرُ الزَّيتيُّ يَكْتَسِحُ الهُمومْ
وزُمُرُّدٌ يَجْلُو عن الصَّدرِ الكَرَبْ،
والحَوْرُ بين نُسَيْمَةٍ وأُخَيْتِها
يَتراقصُ الفِضِّيُّ من فَرْطِ الطَّرَبْ،
والدُّلْبُ يَخلعُ في الخَريفِ حِذاءَهُ
سَجَّادةً صَفراءَ من لَونِ الذَّهَبْ،
وصَنوبرُ الغَاباتِ يَزْفِرُ بالأَثِيرْ
عِطراً صَعُوْداً لا تَسلني ما السَّبَبْ.

هذي عَجُوزْ...
هذي عَجُوزٌ غافِيَاتٌ رِمْشُها

في حَقْلِها المَنسُوجِ من كَرْمِ العِنبْ،
قد لَوَّحتْ شَمسُ الظَّهيرةِ خَدَّهُ
والسُّكَّرُ المَعْسُولُ في الثَّغرِ انْسَكَبْ،
والصَّمتُ يَسْبَحُ في الفَضاءِ جَناحُهُ
حتّى تَخَالَ بأنَّ سَمْعَكَ قد ذَهَبْ،
سُبحانَ من خَلقَ الجَمالَ مُرَكَّزاً..
سُبحانَهُ سُبحانَهُ فيما وَهَبْ.

في الصَّدرِ قَفَصٌ ما فَطِنْتُ لغَلْقِهِ
حتّى عَلمتُ بأنَّ قَلبيَ قد هَرَبْ،
لا تَخْشَ منّي مَلامَةً مَسْعُورَةً
في جِبالِ الأَلبِ أَحتقرُ العَتَبْ.

# عَمليَّةُ قَبرٍ مَفتوحٍ

وتَفاصَحَ الجَرَّاحُ لافُضَّ فُوهُ مِن حَكِيمْ:
سيُفَتِّشُ بالمجهرِ المَلعونِ أَركانَ الفُؤادْ،
ويُطاردُ بالمِبضعِ المَشْحُوذِ أَشباحَ انْسِدَادْ
ويُحرِّرُ القَلبَ السَّقيمْ
من ذُلِّ حُبٍّ يَسْتَعِرُ جُرحاً قَديمْ..
لافُضَّ فُوهُ مِن فَهيمْ.

لو يَعرفُ الجَرَّاحُ ما تَطْوِيهِ ذَاكرةُ القُلوبْ،
لو يَعرفُ الجَرَّاحُ ما تُدمِيهِ أَلوانُ الغُروبْ،
لو كانَ للجَرَّاحِ نَبْضٌ مثل نَبضِ العاشِقِينْ،
لو كانَ للجَرَّاحِ قَلبٌ مثل قَلبِ العاشِقِينْ
قد خاضَ في المَيدانِ حَرباً قَزَّمَتْ كلَّ الحُروبْ
ما كان يَعبثُ في تَلافِيفِ النُّدُوبْ،

أو يَنْكأُ الجُرحَ اللّئيمْ
قد أَمسى ذِئباً عَيْنُهُ نَوّامَةٌ
وأُخَيْتُها الرَّقطاءُ تَنتظرُ الحَكيمْ
كي يُوقظَ بالمجهرِ العَينَ النَّؤُومْ،
ويُؤَجِّجَ بالمِبضعِ المَشْحُوذِ نِيرانَ الجَحيمْ...
لا فُضَّ فُوهُ مِن فَهيمْ.

# فَيروزِيّات

قد حَقَّقتُ -ياسيِّدي- كلَّ الشُّروطِ الأساسيَّة
في أُغنيةِ فَيروزَ المُخمليَّة:
سَمراءُ وعَيناي واسعتانِ وتَنُّورَتي نِيْلِيَّة
والمَكانُ ضَيِّقٌ لا يَتَّسِعُ
فامنحني كما وَعدتَني يوماً
جَزيرةً تُؤويني في شَهدِ عُيونِكَ العَسليَّة.

# مِن وَراءِ البِحارِ

سَجِّلْ! أنا الخادمةُ القادمةُ من وَراءِ البِحارْ
لأُعِيْدَ إلى أسواقِ النِّخاسَةِ أَلَقَها
بعد طُولِ غِيابٍ وطُولِ انحِسارْ.

لاتَسَلْني عن طِفلٍ رَضيعٍ تَركتُ خَلفي،
وعن أُمٍّ عَجوزٍ تَركتُ خَلفي،
وعن جُرحٍ لَدُودٍ كَوَيْتُ لِيَشفى
وطَوَيْتُ دَمعتَهُ تحت رِمْشٍ مُستَعارْ.

سَجِّلْ! أنا الخادمةُ القادمةُ من وَراءِ البِحارْ
لأَنْفُضَ عن عَهْدِ الجَواري غُبارَهُ،
وأُعيدَ عَتمةَ اللَّيلِ إلى أَحْدَاقِ العَبيدِ
وحُمرَةَ الدُّرَّاقِ إلى خُدودِ شَهريارْ.

سَجِّلْ! أنا الخادمةُ القادمةُ من وَراءِ الإعصارْ
لأَبيعَ لَيلاً ولَحْماً وجِنساً بأَبخسِ الأَسعارْ،
لاتَسَلْني لماذا وكيف،
قد خُلقتُ هكذا حافيةً عاريةً جائعةً
مَقطُوعةَ الأَوصالِ مَبتُورةَ الأَحلامِ والأَوتارْ،
لكنّكَ... ما خُلقتَ هكذا
فلماذا بمَوسمِ التَّنزيلاتِ تَشتري يارَخيصْ؟
ولماذا بعُهْرِ شَفَتَيْكَ تَختلقُ الأَعذارْ؟؟

# أَوتَذكُرينَ يا سَنِيَّة؟

ها قد سافرتْ سَنِيَّة
إلى بلادٍ وَحِيدةِ الاتِّجاه
وتَركتْ كلَّ الشَّقاءِ عليَّ.

ها قد سافرتْ سَنِيَّة
فلِمَنْ أَشكُو وَحدتي،
ولِمَنْ أشكُو عِلَّتي،
ولِمَنْ تَكْرُجُ ضَحكتي
بعد أن غابتْ سَنِيَّة؟

ها قد سافرتْ سَنِيَّة
في خَريفِ العُمرِ شَجرةَ دُلْبٍ حَمراءَ
أَسنَدتُ ظَهريَ إليها وأَسنَدتْ ظَهرَها إليَّ

فكانت عُكّازتي، وكانت تُفّاحتي،
وكانت وَردَةَ عُصُوريَ الذّهبيَّة.

إيهٍ سَنِيَّة!
كَسَرْتِ ظَهريَ بغِيابِكِ يانَقِيَّة،
أكادُ أموتُ في كلِّ لَحظةٍ ضَجَراً،
ورسائلي المَكتوبةُ بالدَّمعِ لا تصَلكِ
قد انقطعتْ بيني وبينكِ وَسائطُ الخِدمةِ البَريديَّة.

إيهٍ سَنِيَّة!
بَدأتُ أَخْرُفُ ياسَنِيَّة
وعَقليَ المُنْهَكُ يُغيِّرُ مَواعيدَ وألوانَ الدَّواءْ،
ويُبعثرُ وُجوهَ وأَسماءَ الجِيرانِ والأَصدقاءْ،
والطَّريقُ إلى أُذُنَيَّ شِبهُ مَقطُوعةٍ،
والرُّؤيا إلى عَينَيَّ شِبهُ مَعدُومةٍ،
وحاسَّةُ الشَّمِّ لا أُخبرُكِ عنها
تكاد تكون نَسياً مَنسِيَّا.

ربَّما أَصبحتُ مُمِلاً ياسَنِيَّة،
وأَحاديثيَ رَتيبةً وقِصصي مُكَرَّرةً مَحكِيَّة،
والأَولادُ يَتَذَرَّعونَ بأَعمالهِمْ ويَتَثاءَبُونْ،
والأَحفادُ بدُروسِهم ومَدارِسهم منّي يَتَهَرَّبونْ،
وأَرْذَلُ العُمرِ ما تَركَ في العُمرِ فَضيلَةً
يَذكرني فيها النَّاسُ فيُراجِعونْ
إِهمالَهمْ لي كقِطَّةِ أَرضِ الدِّيَارِ المَنْسِيَّة.

أَوَتَضحكينَ يا سَنِيَّة!
أَوَتَضحكينَ من شَرِّ البَلِيَّة!
ياحَبيبةَ عُمريَ، وخَنْدَقَ أَسراريَ
وسِترةَ عَيبيَ، ورَفيقةَ أَيّاميَ السَّقيمةِ والهَنِيَّة
أما زالت عَيْنَاكِ تَغُوصانِ بين خَدَّيكِ حين تَضحكينَ
وتُطَوِّقُ شَفَتَيكِ خُطوطٌ حَريريَّة؟
أَمْ إنّكِ تَغَيَّرتِ ياسَنِيَّة
مثلما تَغَيَّرتْ من بَعدِكِ أَلوانُ الصَّيفِ وأَعنابُ الكَرمِ
ورَوائحُ الحَبَقِ والرَّيحانِ والعِطْرَةِ والمَريَمِيَّة؟

يا خَريفَ العُمرِ تَرَفَّقْ بشَيْبَتي
إنّني وَحيدٌ أَستجدي صُحبَةَ أَبناءٍ نَسَوني
مَزرُوعاً في خاصرةِ أَرِيْكَةٍ خَشبيَّة،
يا خَريفَ العُمر تَرَفَّقْ بمَظهري
واتركْ لي ضَاحِكَيْنِ اثنينِ يُشَرِّفانِ مَبْسِمِي
حين تَلقاني سَنِيَّة،
يا خَريفَ العُمرِ تَرَفَّقْ بهَيْبَتِي
لا تُسقطْ عنّي آخرَ وَرقةِ تُوتٍ تَسترني
أَخافُ أن تَسألني عنها حين تَلقاني
تُوتَتِي الشَّامِيَّة.

# لا تَقُلْ أُحِبُّكِ!

لا تَقُلْ أُحِبُّكِ! دَعني أَكتشفْ
فدَهْشَةُ الحُبِّ تموتُ بَوْحاً،
وجَذْوَةُ الحُبِّ يُذكيها اكتشافْ.

دَعني أَلهثْ وَراءَ انسيابِ الزَّيتِ
في قِنديلِ عَينَيكَ يَشُعُّ انبهاراً حين يَراني
فيُنيرُ مَصابيحَ الشَّوارعِ العَتيقةِ
وقَناديلَ الحَدائِقِ الغافِيةِ في عَتمةِ اللَّيلِ آلافْ.

لا تَقُلْ أُحِبُّكِ! دَعِ المُهمّةَ للصَّفصافْ
تَتَراقصُ أَوراقُهُ الصَّفراءُ على إيقاعِ قَلبِكَ الخَفَّاقْ
فتَنهمرُ أَماميَ على أَرصِفةِ المَطرِ المَنْسِيَّةْ
سَجَّادةً تَبريزيَّةْ
مَجْدُولَةَ الأَطرافْ.

لا تَقُلْ أُحِبُّكِ!
فماذا يَفعلُ الياسمينُ في دِمَشقيَ الحَبيبة؟
وماذا يَفعلُ الجُورِيُّ في دِمَشقيَ الحَبيبة؟
وماذا يَفعلُ النَّارَنجُ واللَّيمونُ والعِطْرَةُ
وأَمطارُ تِشرينَ الهَفْهَافْ؟

لا تَقُلْ أُحِبُّكِ! دَعني أَنتظِرْ،
لا تَقُلْ أُحِبُّكِ! دَعني أَنتقلْ
من فِنجانٍ إلى فِنجانٍ
ومن عَرَّافٍ إلى عَرَّافْ،
فجُنونُ الحُبِّ تُشعلهُ ظُنُونٌ
ودَهْشَةُ الحُبِّ يُخمدها اعترافْ.

# الأَحمرُ الصَّيفيُّ

وطُمُوحيَ أنْ أَلبسَ الأَحمرَ الصَّيفيَّ
في لَيلةِ مِيلاديَ حين أَلقاكْ،
لا أَعْبَأُ بمِزاجِ تِشرينَ المُعَكَّرْ،
برُعُودِهِ ورِياحِهِ وأَمطارِهِ الرَّعْنَاءْ
تَكْرُجُ على كَتفَيَّ كَشِيْفَيْنِ يَتَعانقانْ
عند مُنتصفِ الظَّهرِ بعُقدةٍ حَمراءْ.

وطُمُوحيَ أنْ أَصبغَ شَفَتَيَّ بالأَحمرِ الصَّيفيِّ
في لَيلةِ مِيلاديَ حين أَلقاكْ،
وأنْ أَطليَ أَظفارَ يَدَيَّ وقَدَمَيَّ بالأَحمرِ الصَّيفيِّ
في لَيلةِ مِيلاديَ حين أَلقاكْ،
وأنْ أُشعلَ في صُحبتِكَ شَمعةً حَمراءْ
تُضيءُ مَصابيحَ الحُبِّ في حَوَاكِيْرِ ضَيعتِنا الشَّتويَّة.

وما بين أَحمرَ وأَحمرْ
يَستيقظُ الرُّمَّانُ والعُنَّابُ والزُّعرورُ والسُّمَّاقْ
من عُريِ الخَريفِ وغَفواتِ أَشجارِهِ الحَمقاءْ،
ويَنْدَسُّ فُؤاديَ في عُروَةِ بِزَّتِكَ السَّوداءْ
قَرَنْفُلَةً حَمراءْ
تَغفو مثل شُجيراتِ التِّينِ في حِضنِ الجِبالِ
على إيقاعِ أَمطارِ الخَريفِ وهَسْهَسَةِ أَوراقِهِ الصَّفراءْ.

# باشِقٌ عاشِقٌ

عُصفورةَ الغاباتِ إنّي عاشِقٌ
في كُحلِ عَينَيكِ أَلْتَمِسُ ارتِياحْ،
لا تَجْزَعِي من مِخلبي المَعقُوفِ إنّي باشِقٌ
لكنّني في لَيلِكِ المَسْحُورِ أعتزلُ السِّلاحْ،
مُسْتَعْطِفاً في ظِلِّ بابِكِ طارِقاً
فَلْتُفْرِدِي أضلاعَ قَلبِكِ والجَناحْ،
بوَداعةِ الحِملانِ قَلبي ناطِقٌ
وعَبيرُ أشواقي مُتَضَوِّعٌ فَوَّاحْ،
لكنّني في الفَجرِ نابٌ باشِقٌ
وبِسِرْبِ أقراني كاسِرٌ صَيَّاحْ،
لا تُخبري أحداً بأنّي خارِقٌ
في اللّيلِ قِطٌّ...
ووَحشٌ في الصَّباحْ.

# عَروسٌ غيرُ تَقليديَّة

أَعطِني وَقتاً كي أَستَجمِعَ أَشلائي
مَنثُورَةً كرَذَاذِ عِطرٍ في لَيلٍ مَطِيرْ.

أَعْطِني وَقتاً كي أَعتادَ عَينَيكْ،
ويَطْحَنَني شَوقي إليهما وإليكْ،
وأَلهثَ نحو ذِراعَيكْ
يَمامةً من فَرحٍ تَطيرْ.

أَعطِني وَقتاً كي أَفتحَ شَبَابِيكَ فُؤادي،
وأُشَمِّسَ قِرمِيدَهُ المَنقُوعَ بنكهةِ التَّوَحُّدِ
وزَيتِ الياسمينِ ورَيحانِ الأَساطيرْ.

أَعطِني وَقتاً حتّى أَخرجَ إليكَ من أَحلاميَ بَجَعَةً بَيضاءْ،
وأَستَرجِعَ أَيّامَ الأُسبُوعِ من زُجاجِ المَزهريّاتِ
وأَورَاقِ التُّولِيبِ ودَفاتِرِ الشَّحارِيرْ.

أَعطِني وَقتاً كي أُحَرِّرَ أَفكاريَ إلى نافُورَةِ ماءْ،
وأُسافرَ من صَومعتي إلى كُرُومِ العِنَبِ
لأُخَمِّرَ نَبيذَ أَسئلتي تحت عَرائشها الخَضراءْ.

يا لَجُوجاً لَجَاجَةَ يَومِ الخَميسِ
وثَوبِ الزِّفافِ وعَقدِ القِرانْ
أَعطِني وَقتاً كي أُحاوِرَ أَحلاميَ
على شَفَةِ القَصيدةِ اللَّمياءْ،
ووَقتاً كي أُطَمْئِنَ أَقلاميَ
بأنّكَ لن تكونَ لنُورِها الظَّلماءْ،
ووَقتاً كي أُفاتِحَ بالأَمرِ فُؤاداً

عَنِيْدَ الضَّرباتِ مُتَقَلِّبَ الأَهواءْ،
ووَقتاً كي تَحُوكَ للزِّفافِ ثَوباً
خَيَّاطَتِي العَمياءُ ومُساعِدَتُها الكَتْعَاءْ.

# رَأسُ السَّنةِ الجَديدةِ

وخَلَعتُ ثَوبكِ عن رُقاديَ مثلما
تَخلعُ العاصفةُ عَويلَها عند الصَّباحْ،
وخَلَعتُ حُزنَكِ عن فُؤاديَ مثلما
تَخلعُ الغَيمةُ حِدادها عقبَ انشِراحْ،
وخَلَعتُ ما أَهْدَيت إلي من دَهشةٍ جَوفاءْ
نامتْ على أَهدابِها حُمْرُ الجِراحْ،
وخَلَعتُ أَيلُولَ الحَزينْ،
وخَلَعتُ كانُونَ الأَنِينْ،
وخَلَعتُ أَضراسَ الرِّياحْ،
وجَلستُ عند البَحرِ أَنتظرُ الوُصُولْ.

حُورِيَّةَ العامِ الجَديدْ!
إنّني غَضْبَى وحَزينةٌ حُزْنَ الذُّبُولْ،

فخَريفيَ بالصَّمتِ يَغمُرني،
وشِتائيَ ما عادَ يَفهمني،
ورَبيعيَ بالصَّيفِ يُوهِمُني
وبكَرْمِهِ الزَّيْنِيِّ أَحماضُ الفُصُولْ.

حُورِيَّةَ العامِ الجَديدْ!
إنْ جِئتني بالسَّيفِ قاطِعَةَ البُحُورْ
لا مَرحباً بكِ وبسَيفِكِ المَسلُولْ،
إنّي أَكلتُ سَفَرْجَلاً من سالِفٍ
وشَربتُ فيهِ حِصْرِماً مَعْصُورْ،
فتكَدَّرَ القَلبُ المُعَذَّبُ حُرْقَةً
وتَخَرَّشَتْ جُدرانُهُ من حامِضٍ مَسْعُورْ.

حُورِيَّةَ العامِ الجَديدْ!
إنّي مَلَلْتُ من القَديمِ حُمُوضَةً ومَرَارَةً
فارحمي بجَدِيدِكِ القَلبَ المَلُولْ.

# عَتَمَةُ الجُهَّالِ

انْهَمَرَ ضَوءُ القَمرِ على خُدودِ الجِبالْ
لِيُطَرِّزَ حُلْكَةَ الأَسْوَدِ بالأَحمرِ النَّارِيِّ
ويَنثرَ على أَكْمَامِهِ بَذْرَ اكتمالْ.

أَيّها النُّورْ!
أَيّها النُّورُ الضَّارِبُ في فَحْمَةِ اللَّيلِ اقتربْ منّي
لا أُحبُّ العَتمةَ ولا أُجيدُ فيها فُنُونَ القِتالْ،
دَعني بضَوئِكَ أَحترقْ كفَراشةٍ حَوَّامَةٍ
فحَريقُ نُورِكَ لن يُوَلِّدَ مَقتلي
بل حَتْفِيَ المَحتُومُ في عَتمةِ الجُهَّالْ.

# لَعنةُ الحُبِّ (١)

أُحبُّكِ! ما زلتُ

أَفِيضُ شَوقاً مثل أَنهارِ الشِّتاءْ،

وأَفِيضُ دَمعاً مثل أَمطارِ الشِّتاءْ،

وتُسافرُ رَائحةُ اللَّيمونِ في رِئَتِي عند إِقْفَالِ المَساءْ

لتكسِرَني على عَتبَاتِها أَلفَ قِطعةِ فَخَّارٍ،

وتُفجِّرَني أَلفَ بَحْرِ عِشقٍ

يَنْقُشُ بالأَحمرِ القِرمِزيِّ شَفَتَيْكِ

على جُدرانِ أَوردتي دُونما استثناءْ.

وفي قِطارِ اللَّيلِ تُسافرُ أَحلاميَ وَرديَّةً إِليكِ

لتَنْهَلَ من ذاكرةِ الجُورِيِّ شُرْبَةَ وَرْدٍ وماءْ

أَسْتَقْطِرُها نُوراً من بَساتِينِ حُبِّي

لأَعودَ إِلى نَفْسِيَ راجِلاً على كَرامتي

أَجرُّ خلفي سَحابةً مَطحُونَةً
وكُتلَةَ عُنفُوانٍ شَوْهَاءْ.

ما لهذا الحُبّ!
ما لهذا الحُبِّ أَفْرُشُ حوله
عُقودَ الياسمينِ ولُؤلُؤَ البِحارِ،
وأُشعلُ في دَرْبِهِ قِنديلَ رُوحي،
وأُذيبُ قَلبيَ في قَهوتِهِ الصَّباحيَّةِ
قِطعةَ سُكَّرٍ بَيضاءْ
فيَعودُ إلى صَدريَ يُتْمُهُ في عَيْنِهِ
لا سُكَّرٌ حَلَّى مَرارةَ قَهوةٍ
بل قَهوةٌ دَبَغَتْ بالكُحلةِ السَّوداءْ
عَيْنَ النَّهارِ وفَيروزَ البِحارِ
وقَصيدةً مَشْغُولَةً من نَخلةٍ وَرْقَاءْ.

هيَ ذِي الحَبيبةُ!

هيَ ذِي الحَبيبةُ تَستبيحُ كَرَامتي

وتَزجُّني بخُصُومةٍ مع رُوحيَ الشَّمَّاءْ،

ما عُدتُ أَغضبُ من عَدُوٍّ في الوَغَى

يَشطُرُ فُؤاديَ خَيْبَةً في سَيفِهِ المَضَّاءْ،

إن كان هذا القَلبُ غِمْدَ حَبيبتي

فلِمَ أَلُومُ في الوَغَى الأَعداءْ!

# لَعنةُ الحُبِّ (٢)

أُحبُّكَ! ما زلتُ
وما زلتَ نُقطةَ ماءِ الوَرْدِ في عَصيرِ فاكِهَتي كلَّ صَباحْ،
وقِطعةَ السُّكَّرِ في قَهوتي المُرَّةِ كلَّ صَباحْ،
وما زلتَ في ليالي الصَّيفِ أُنشُودَةَ الياسمينِ
وفي ليالي الشِّتاءِ كَشْمِيرَ الوِشاحْ.

وعندما تَعقِدُ الغُيومُ حاجِبَيْها
لتَنْهَمِرَ دَمعاً على أَقاصِيْصِ خُبَيْزَتِي الحَمراءْ
أَبكيكَ في سِرِّي وفي عَلَنِي
فتَشربُ خُبَيْزَةُ شُرفتي دَمعَ السَّماءْ
وتَشربُ رُوحيَ عَصيرَ الجِراحْ.

أَوَليس لهذا الأَلمِ إجازةٌ أو عُطلةٌ صَيفيَّةٌ
أو دَفعُ كَفَالَةٍ فإطلاقُ سَرَاحْ؟

لماذا اخْتَصَرتُ فيكَ كلَّ الرِّجالِ أخبِرني!
لماذا اخْتَصَرتُ فيكَ كلَّ الرِّجالِ
فبَقيتَ عِملاقاً على كَوْمَةِ أَقزامٍ،
وبَقيتُ من بَعدكَ على قِرمِيدِ المَنازلِ
حَمامةً بَيضاءَ تَحترفُ الصَّمتَ وتَمتَهِنُ النُّواحْ؟

# عندما يَبكي السَّحابُ

انهمرَ المَطرْ..
فتَلألأَ ماساً على شَجرِ النَّخيلْ،
واستيقظَ في جُفونِ البَرقِ أَلفُ قِنديلٍ وقِنديلْ،
واسْتَدَارَ وَجهُ القَمرْ.

انهمرَ المَطرْ..
دَمعةً من عُيونِ السَّحابْ
تُبَلِّلُ برِفقٍ ضَحكةَ التُّرابْ،
وتُعَقِّدُ بالسُّكَّرِ لُبَّ التُّمورِ،
وتَمسَحُ باللُّؤلُؤِ تِيجانَ الزُّهورِ،
فتَنْتَشِي بخِيطانِ الماءِ الطَّهُورِ
أَعناقُ العُشبِ وسِيقانُ الشَّجرْ.

انهمرَ المَطرْ..
فهَدَأَتْ في أَقْفاصِها رُوحي،
وهَدَأَتْ في مَحَاجِرِها عَيناي شَهْلَى
كخابِيَةِ شَهْدٍ مُصَفًّى على شَفَةِ القَمرْ.

انهمرَ المَطرْ..
والبَحرُ دَفِيءٌ كحِضنِ أُمِّي،
والمَوجُ شَفِيْفٌ كضَحكةِ أَبي،
والأَزرقُ فَيرُوزٌ على مَدِّ النَّظرْ.

انهمرَ المَطرْ..
وأنتَ أَحلَى،
وعَيناكَ من النُّجومِ أَصْفَى،
فتبَارَكَ من خَلقَ النُّجومَ جَميعَها،
وسُبحانَ من في عَينَيْكَ كلَّ الرِّجالِ اخْتَصَرْ.

# دمشقُ يا دُكّانةَ العَطّارِ

ضَربَ الصَّيفُ مَوعِداً معكَ بغَفلةٍ منّي
فافْتَرَشَتْ أَحضانَ بَردى زَنبقةُ الماءْ،
ونَامَتْ في جُفونِهِ أَزهارُ اللُّوتُسِ البَيضاءْ.

لا أُقاوِمُ حُبَّكَ يَأتيني من بَعيدٍ
كرائحةِ ماءِ الوَردِ تَتَسَلَّلُ حافِيَةً من دُكَّانَةِ العَطَّارْ
لتَسقيَ أَزِقَّةَ دِمشقَ بعِطرِ الجُورِيِّ،
وتَمسحَ جَبينَها العالي بمُخْمَلِ الأَزْرَارْ.

لا أُقاوِمُ حُبَّكَ يَأتيني من بَعيدٍ
مُعَشَّقاً بزَيتِ الياسمينِ ورُوحِ النَّعنَاعِ وماءِ الزَّهرِ
وقَصيدَةِ عِشقٍ كَتبَها قبلَ أن يَرحلْ نِزارْ.

لا أُقاومُ حُبَّكَ يَأتيني من بَعيدٍ
بتَمْرٍ ما تَزالُ حِنَّاؤُهُ تُزَيِّنُ كَفِّي،
وزَيزفُونٍ ومِسكٍ وقَرنفلٍ وَرديٍّ غَريبِ الأَطوَارْ
تَستَسلمُ لعَبيرِهِ كلُّ الشَّوارعِ والمَنازِلِ وأَرصفةِ الطُّرقاتِ
ونَوَافيرِ دمشقَ وأَعمدةِ الأَنوارْ.

بَدأتُ أَغارْ..
بَدأتُ أَغارُ من حَبيبةٍ حَسناءَ
ما فَتِئْتُ أَضْبُطُها بين ذِراعَيْكَ لَيلاً فلَيلاً فلَيلاً فنَهَارْ،
وكُلَّما دهَمتُ فُؤادَكَ في مَوجةِ شَكٍّ
أَلفَيتُ كُحلَها عالِقاً على الأَوتارْ،
فسألتُكَ بجُموحِ أُنثى تَحترقْ من غَيرةٍ
هَلَّا ظَننتَ بأنّني أَرضى بجَورِكَ شَهريارْ؟
فأَجبتني والفَخرُ يَملأُ عَينَكَ:

هذي دِمشقُ..

هذي دِمشقُ..

هذي دِمشقُ سِحرُها في عِطرِها

فلتَسألي عنها دُكَّانةَ العَطَّارْ!

# دِمشقُ! إنّني خائفةٌ

دِمشقُ دَعيني أستثمرْ حُزني
لأَكتبَ في عَينيكِ قَصيدةً خَضراءْ
أَزرعها رَيحانةً عند أَقدامِ قاسِيُونْ
تَستَحضِرُ بعَبيرِها نُجومَ الصَّيفِ
وتَرسمُ فوق أبديَّةِ الشَّمسِ
أَبجديَّةَ النُّورِ ودِفءَ الضِّياءْ.

ها قد مَضى عامٌ آخرُ
ودَمعتي ما تَجفُّ دِمشقُ،
أَبكي عنّي وعنكِ،
وأَحْزَنُ عَنّي وعَنْكِ،
وأَهربُ منكِ لأُخفيَ دَمعي

وأرجعُ إليكِ لأَعرفَ فيكِ
أنّني أنتِ وأنّكِ أنّي.

ها قد مَضى عامٌ آخرُ يادِمشقُ
فدَعيني أَغْفُ على رُكبتيكِ،
وغَطّيني بشَرشَفٍ من زَهرةِ اللّيمونِ،
ودَنْدِني لي كرائحةِ البُرتُقالِ في عَصيرِ الصَّباحْ،
دَنْدِني لي كرائحةِ أَفْرَانِ العِيدِ عند المَساءْ،
ورائحةِ النَّعنَاعِ المَشْتُولِ على خَصْرِ السَّحابْ.

إنّني طِفلتُكِ الخائفةُ دِمشقُ
فخُذيني بين ذِراعيكِ واحضُنيني..
احضُنيني لأُوقِنَ أنّكِ بخَيرٍ يا أُمِّي.

# لا تَركَعي للحُزنِ

أَدِمَشْقَتِي لا تَركَعي للحُزنِ في زَمنِ الدُّموعْ
أو تكتبي التَّاريخَ نُوراً خافِتاً
من بَعدِ أن كُنتِ المَنارةَ والصَّدارةَ والشَّمسَ السَّطُوعْ،
جَفنِّي الهُدْبَيْنِ أَعرفُ أنّكِ مَجرُوحةٌ وحَزينةٌ
لاأُريدُ لشَامِتٍ أن يُطفِئَ في دَمْعِكِ غِلَّ الضُّلُوعْ.

هاكِ فُؤادي!
هاكِ فُؤاديَ فامسَحي عَبَرَاتِكِ
ودَعيني أَبْكِ عن عُيُونِكِ إنّني
آخَيْتُ حُزناً يَسكُنُ القَلبَ الوَجُوعْ.

أَحَبيبتي لا تَتركيني في الظَّلامِ وَحيدةً
أو تَركعي للخَوفِ في زَمنِ الرُّكُوعْ،

إنّي عَهِدتُكِ هامَةً مَرفُوعةً
لاتَنْكُسيها بحَقِّ دِينِ محمدٍ ويسوعْ.

أنّى اتجهتُ عِطرُكِ مُتَنَفَّسِي
وزُيوتُ وَردِكِ بَسمةُ القَمرِ الطَّلُوعْ،
والفَجرُ يَشدُو في بَيَاضِكِ زَنبقاً
قد أَرْطَبَ في مِسكِهِ طِيْبَ الرُّبُوعْ.

أَدِمَشْقَتِي عَلَّمتِنِي سِحرَ الهَوَى
وحُروفُ شِعريَ تَنبضُ الحُبَّ الدَّلُوعْ،
مَنْ عَلَّمَ التِّلميذَ حَرفاً واحداً
قد أَشعلَ في دَرْبِهِ أَبَدَ الشُّمُوعْ.

# حُبٌّ وَحيدُ الاتجاهِ

أَرْدَيْتُكِ حَبيبتي فأَرْدَيْتِني قَتيلا،
ورَسمتُ عَينيكِ على وَرَقِ الصَّفصافِ بُلبُلاً يَشْدُو،
وغَزَلْتُ حَاجِبَيْكِ على مِنديلِ جَدَّتي،
وعلى كُرومِ العِنبِ نَقَشْتُ قَصائدي تُفَّاحةً سُكَّرِيَّةً،
وعند فَيروزِ البِحارِ طَرَّزتُ المَوَاوِيلا.

ورَجَوتُ أَحداقَ البِحارِ تَحملُ دَمعتي إليكِ
حَبقاً وآساً وطَيُّوناً ورَياحِيناً،
فما قَبلتِ منّي حَبَقي وآسي
وما استلمتِ من بَريدِ عَينيَّ المَراسِيلا.

يقولونَ أَوَّلُ الغَيثِ دُعاءٌ مُستَجابٌ
فما تَركتُ قَطرةَ غَيثٍ تَفلتُ منّي
إلّا قَرأتُ عليها آلافَ التَّراتِيلا.

إلهي! إنّي عَبْدُكَ المِسكينُ أطلبُ نَجدةً
بحُبٍّ يَسحقُ في خافِقِي كلَّ ضَربةٍ
وما رَجَوتُ منهُ خَلاصاً وما تَمنَّيتُ عنه بَديلا،
عَجَبِي!عَجَبِي لِقِطٍّ يَعشقُ خَنَّاقَهُ
ولقاتِلٍ يَنوي محاكمة القَتيلا.

وإنّي لأَشْهَدُ من صَميمِ مَرارتي
أنَّ المَحبَّةَ إن أَتَتْ من جانِبٍ
تَكْوِي الفُؤادَ وتَقلبُ الحُرَّ ذَلِيلا.

# أَعلنتُ الصَّيفَ عليكَ

أَعلنتُ الصَّيفَ عليكَ سَحابةَ حُبٍّ عَسليَّة
تَنهمرُ شَهداً على مُخْمَلِ الدُّرَّاقِ وعُقودِ الياسمينِ
وزَنابِقِ أَيلُولَ وشِفاهِ شَجرةِ التُّوتِ البَرِّيَّة.

فاقْتَطِفْ!
اقْتَطِفْ من جَبينِ الشَّمسِ عند الرَّحِيلِ قَارورةَ طَيُّونٍ،
واقْتَطِفْ من زُرقةِ البَحرِ عند المَغيبِ سَجَّادةً بُرتُقاليَّة،
واقْتَطِفْ من عَتمةِ اللَّيلِ عند الهَزيْعِ مِداداً،
ودَعني! دَعني أُعلِّمكَ الكِتابةَ والقِراءَةَ
وتَهْجِئَةَ حُروفِ الحُبِّ الأَبجديَّة.

وحين تَستَعرِضُ الغَيمةُ أُنوثَتَها،
وتَستَعرِضُ السَّحابةُ أُنوثَتَها

انْثُرني فوق حُقولِ اللَّيمونِ زَيتَ بَنفسجٍ
وماءَ وَردٍ مُعَتَّقٍ عند شَواطِئِ اللاذِقِيَّة.

إنّني..
إنّني بَجَعَتُكَ البَيضاءُ أَهِيْمُ عِطراً
وفي عَتمةِ عَينيكَ عُصُورِيَ الذَّهبيَّة،
كُلَّما حَنَوْتَ عليَّ ازْدَدْتُ رِيشةً
وأَوْرَقَتْ في دَوَاوينِ عِشقي
عَرِيشَةُ عِنَبٍ حُلْوَانِيَّة.

# ذاكرةُ البَخُورِ

يَشتاقني حُبُّكَ أَمسحُ بماءِ الزَّهرِ عن جَبينِهِ
أَوراقَ الصَّفصافِ المَكْسُورْ.

أَيَّانَ مَوعدُنا؟
رُكْناً دَفِيئاً في صَدرِ تِشرينْ
تُمطرُ الدُّنيا خَريفاً وحَبَقاً وجُورِيّاً حَزينْ،
فأَرسُمُ بماءِ الغَيثِ على أَهدابِ الغُيومْ
هَمسةَ شَوقٍ ولَوعةٍ وحُبٍّ وأَنينْ.

أُحِبُّكَ ولا أُبالي
بنَهرٍ لا تَفيضُ ضِفَافُهُ شَوقاً إليكْ،
ومَدينةٍ يَلُفُّها الصَّقيعُ خارج امتدادِ ساعِدَيكْ،

ومَشْتَلٍ لا يَحملُ عند المَساءِ لِرئَتَيَّ ورِئَتَيكْ
عَبيرَ الرَّيحانِ المُبَلَّلِ بطُهْرِ المَطَرْ.

أُحِبُّكَ ولا أُبالي
بقَصيدةٍ لا تَصُبُّ بُحُورَها في أَسْوَدِ عَينيكْ،
وخَطوةٍ لا تَحرقُ المَسافةَ بين عِناقِي وذِراعيكْ،
وكرةٍ أَرضيَّةٍ لا تَستمدُّ جاذِبيتَها من مِزاجِ الغَيمِ
وذاكرةِ الآسِ وفَطائِرِ الجَوْزِ وبَسمةِ شَفتيكْ.

وحين تَقبضُ الرِّياحُ على أفكاريَ
مُتَلَبِّسَةً بحُبِّي وأَشواقي إليكْ
تَعلُكُ أَلسِنةُ الأَعاصيرِ دَوَاويني
وتَعصِفُني خارج فَضاءِ أَحلامي،
أَرتَدي جِراحِيَ بدون ضَجيجٍ،
وأَحترقُ بصَمتٍ كعِيدانِ بَخُورٍ حَزينْ،

وعَزائي...

عَزائي أنّي بقَرَنْفُلِي وعُودِي أَبَدِيَّةٌ أنا

في ذاكرةِ المِسكِ والجَمْرِ

وأنفاسِ النَّسيمِ وعَنْبَرِ رِئتيكْ.

# أنانيَّةٌ عاشِقَةٌ

أَنانِيَّةٌ أنا..
وأُريدُ نُورَ الشَّمسِ لي وَحدي،
وضَوءَ القَمَرِ لي وَحدي،
وزُرقَةَ البَحرِ أَزرعُها بَنفسجاً
وأَستَقطِرُ منها عُطوريَ وَحدي.

أَنانِيَّةٌ أنا..
وأُريدُ امْتِشَاقَ الغُيومِ وَحدي،
وبِكُوْعِيَ سَلَّةٌ أَجمعُ فيها نُجومَ المَساءِ
وأَصنعُ منها عُقُوداً وَحدي.

أنانِيَّةٌ أنا..
وأُريدُ أن أغزوَ غاباتِ حُبِّكَ وَحدي،
أغرسُ فيها أعناباً ورُمَّاناً ورَيحاناً وطَيُّوناً،
وشَجرةَ بُرتُقالٍ أُسندُ ظَهري إليها وَحدي.

أنانِيَّةٌ أنا..
وأُريدُ أبجديَّةً أُرَوِّضُها وَحدي،
وقَوافيَ أعزفُ بُحُورَها وَحدي،
وسِيقانَ حَوْرٍ أنقشُ عليها
بماءِ وَردي وسُكَّرِ لَوزي
أُحِبُّكَ..أُحِبُّكَ..أُحِبُّكَ وحدي.

# البَحرُ غَدَّارٌ!

يَتَقهقرُ البَحرُ بمَوجاتِهِ السَّكْرَى
فيَتركُ خُطوطَ العَرَّافاتِ على جَبِينِ الرِّمالْ،
آهِ لو كنتُ عَرَّافةً لقَرأتُ كَفَّ البَحرِ التُّركُوازيَّةَ
وشَقَقْتُ عن صَدرِهِ غُموضَ الأَسرارْ.

ما لهذا البَحرِ الوَسيمِ يَنْفُثُ حين يَغضبُ سُمّاً وقُبْحاً،
ويَبْصُقُ ذُعراً ويَسْعُلُ مَوتاً،
ويُزَمجِرُ في حَلْقِهِ الزِّلزَالْ!
وحين يَصفُو المِزاجُ يُمسي أُرجُوحَةَ المُنْتَجِعِيْنَ
وحِضنَ المياهِ الضَّاحِكَةِ على شِفاهِ الجَمالْ!

البَحرُ غَدَّارْ!
أَنزلتُ فيه ساقَيَّ فتَلاطَمَتْ أَمواجُهُ،
وتَعانَقَتْ مع قَلبيَ المُنصاعِ لها بأُنوثَةٍ ودَلالْ،
فاستَسلَمتُ طَوْعاً لِدِفءِ أَحضانِهِ،
وسَلَّمتُ عُدَّتي وعَتادي إليه دونما اقتتالْ،
ونَظرتُ في عَينَيهِ الزَّرقاوَيْنِ طَويلاً مَلِيًّا
فما وَجدتُ فيهما وَمْضَةَ غَدْرٍ،
وماقَرأْتُ ثُعالَةَ إلّا في عُيونِ رُكّابِهِ الأَنذالْ.

يا بَحرُ إنْ أنتَ غَدَرتَ مَرَّةً
أَعطيتَ أَلْفَاً مُتعَةً وخَيالْ،
لكنّنا يابَحرُ أَلْفَاً نَغْدِرُ
كي مَرَّةً نُعطي مِن رَحمةٍ ووِصالْ!

# المُتَجَمِّدُ الاستوائيُّ

في زَمَنِ الصَّقيعِ ويَباسِ الأَحلامِ
يُطاردكَ حُبِّيَ استِوَائِيّاً
إلى آخِرِ قَطرةٍ من المُتَجَمِّدِ الشِّمالِيِّ،
يَستَدفِئُ فيه جِلْدُ المُحيطِ ليَسيلَ لُجَيناً بين ساعِدَيكْ.

أَستَقبلُ في جَزيرةِ عَينَيكَ نُورَ النَّهارِ،
وأَطِيرُ حولها كفَراشةٍ ماليزِيَّةٍ
مَرسُومَةٍ بحِبرِ الصِّينِ على مِنديلِ الحَريرِ،
وأَجنحةِ المَغيبِ،
وأَشجارِ جَوزِ الهِندِ،
وأَزهارِ الأُوركِيدَةِ الصَّفراءْ.

وأخرجُ إليكْ..
أَخرجُ إليكَ من وراءِ غاباتِ النَّخِيلِ خَضراءْ
لأَعزِفَ قافِيَةَ المَطَرِ على كُوخِكَ الخَشَبِيِّ،
فأَحتكِرُ رائحةَ العُشْبِ المُنَدَّى بالمَطَرِ إليكْ،
وأَحتكِرُ غُيومَ السَّماءِ القِرمِزِيَّةِ إليكْ،
وأَحتكِرُ دِفءَ الاستِواءْ.

وحين يَموتُ المَوجُ في جُزُرِ المُتَجَمِّدِ المَنْسِيَّة،
ويَموتُ الحُبُّ في جُزُرِ المُتَجَمِّدِ المَنْسِيَّة،
تَعيشُ أنتَ رغم أَنْفِ الصَّقيعِ،
ورغم أَنْفِ الجَلِيدِ تَحيا بتَدفِئَتِي المَركَزِيَّة،
يَستَمِدُّها حُبِّي إليكْ
من أَشجارِ المانغُو المَزرُوعَةِ على خَطِّ الاستِواءْ،
ويُرسلُها فُؤاديَ لك
حُزمَةَ دِفءٍ من حُزماتِ طاقتي الشَّمسِيَّة.

## عَطّارِيَ أنتَ!

ثُمَّ أَحبَبتُ المكانَ لأنَّه أنتَ،
وأَحببتُ الزَّمانَ لأنَّه مَوعِدٌ تَضربهُ أنتَ،
وأَحببتُ عُمري لأنَّني أَوْرَقْتُ فيهِ
عَرِيْشَةَ أَعنابٍ في صَيفِ عَينَيكَ أنتَ.

ثُمَّ أَحبَبتُ العُطورَ لأنَّ أَرِيجَها أنفاسُكَ أنتَ،
وأَحبَبتُ الزُّهورَ لأنَّكَ جُورِيَّةُ أيَّاميَ أنتَ،
وأَحبَبتُ أَحلاميَ لأنَّني رَفرَفتُ فيها
فَراشةً مَكْحُولَةً من حِبْرِ عَينَيكَ أنتَ.

وحينَ رَحَلتَ
استَمسَكَنِي الزَّمانُ مَوعِداً يَضربُني بِفراقِكَ أنتَ،
واستَغَثتُ اللهَ أنْ يُقَصِّرَ عُمري

فطُولُهُ يَجلِدني بسِياطِكَ أنتَ،
وعَرائِشُ صَيفيَ يَتيمةٌ مَبْحُوحَةٌ،
وأَعنابُها حِصْرِمٌ بغِيابِكَ أنتَ.

وجُورِيَّةُ المَساءِ استَقْطَرَتْ دَمعاتِها
في قَوارِيرَ عَطَّارُها أنتَ،
فنَزَفْتَ دَمْعَ أَريجِها عِطْرِي
وعَاوَدتَ حَرقِيَ بدُموعِكَ أنتَ،
لا المَولَى استَجابَ لدُعاءِ مَوتي
ولا نِعمةُ عُمري بخَريفيَ أَنْتَ.

# أُحِبُّكَ ولكنّني..

لو كان قَلبي معي في عِيدِ الحُبِّ
لأَغْرَقْتُ مَتاحِفَ روما بِبُخُورِ شِعري،
وعَرْبَشْتُ على كُلِّ تَماثيلِ اللُّوفر ياسمينةً بَيضاءْ
تَفُوحُ بزُيُوتِها عُطورُ باريس فتَفِيضُ ضِفافُ السِّين شَوقاً إليكْ.

لو كان قَلبي معي في عِيدِ الحُبِّ
لجَدَّلْتُ ضَفائِرَ الشَّمسِ الذَّهبيَّةَ على رَأسِ القَمَرْ،
وأَلْبَسْتُ شِفاهَ البَرقِ أَحمرَ الوُرودْ،
وأَنْطَقْتُ بالحُبِّ يَنْقُطُ بالسُّكَّرِ المَعْقُودْ
لسانَ الحَجَرْ.

لو كان قَلبي معي في عِيدِ الحُبِّ
لخَجّلتُ كُلَّ نَخْلَةٍ وَرْقاءَ من تَمْرِ حُبِّي،
وأَخْرَجْتُ كُلَّ البَساتِينِ من أَخْضَرِ آسِي وأَحْمَرِ وَرْدِي،
وأَضَأْتُ عَينَيَّ في حَضْرَةِ الحُبِّ نِجمتَينِ
تَقْتَبِسانِ من نُورِ عَينَيكَ مَصَابِيحَ رُوحي
ومن بَسمةِ شَفَتَيكَ حُمْرَةَ خَدِّي.

لو كان قَلبي معي في عِيدِ الحُبِّ
لمَحَوْتُ أُمِيَّةَ العالمِ بأَبجديَّةِ نَبْضِي،
وكَتبتُ على كُلِّ سَبُّورَةٍ سَوداءْ
بطَبْشُورَةِ رُوحِيَ البَيضاءْ
أُحِبُّكَ..أُحِبُّكَ..أُحِبُّكَ ولكنَّني..

# صدر للكاتبة

- رواية «سكينة ابنة الناطور»، ٢٠١٤، دار الفارابي، بيروت.
- ديوان «الرَّجُل ذلك المخلوق المُشَفَّر»،٢٠١٠، دار البشائر، دمشق.
- ديوان «جوف الليل»، ٢٠٠٩، دار البشائر، دمشق.
- ديوان «تسونامي وعروس البحر» بالإنجليزية، ٢٠٠٦، دار طلاس، دمشق.
- ديوان «البجعة البكماء» بالإنجليزية، ٢٠٠٥، دار طلاس، دمشق.
- ديوان «ظلال الماضي» بالإنجليزية، ٢٠٠٢، دار الفكر، دمشق.

# المحتويات

سلمى جميل حداد أكاديمية وباحثة من سوريا حصلت على درجة الدكتوراه في الترجمة من جامعة هيريوت وات في بريطانيا، وهي تنظم الشعر باللغتين العربية والإنجليزية وتكتب الرواية بالعربية، كما تقوم بوضع المعاجم الثقافية باللغتين العربية والإنجليزية.